مجلة
كلية البنات الأزهرية بالعاشر
من رمضان

الألفاظ الدالة على (اللين) في القرآن الكريم
دراسة تحليلية في ضوء الفروق الدلالية

إعداد الدكتورة
فايزة أحمد محمد عبد الحليم
المدرس بقسم أصول اللغة
في كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
جامعة الأزهر

العدد التاسع ديسمبر ٢٠٢٤ م
الترقيم الدولي (٢٦٣٦-٣٦٠٧)
الترقيم الدولي الإلكتروني(٢٦٣٦-٣٦١٥)
رقم الإيداع بدار الكتب (٢٠٢٤/٢٤٣٢٩)

الألفاظ الدالة على (اللين) في القرآن الكريم
دراسة تحليلية في ضوء الفروق الدلالية

ملخـــص البحث:

تقوم فكرة هذا البحث على بيان الفروق الدلالية بين بعض الألفاظ الدالة على(اللين) في القرآن الكريم، ونظرًا لأهمية تلك الفروق في الوصول إلى الفهم الصحيح لمعاني الآيات الواردة فيها؛ جاء هذا البحث بعنوان: (الألفاظ الدالة على (اللين) في القرآن الكريم دراسة تحليلية في ضوء الفروق الدلالية)؛ وذلك باستعراض الآيات القرآنية التي وردت بها ألفاظ (اللين) وتحليلها؛ لتلمُّس الفروق الدقيقة بينها، من خلال تحليل السياقات القرآنية المختلفة لها، وتحديد الفروق الدلالية بناءً على هذه السياقات، وتُسبَقُ هذه الخطوات بالتأصيل اللغوي لهذه الألفاظ عن طريق الرجوع إلى المعاجم اللغوية؛ لتحديد الدلالة الأصلية لهذه الألفاظ، ثُم إسقاط هذه الدلالة على السياقات؛ وذلك لأن السياق يحدد المعنى المناسب، ويبرزُ الفروق الدلالية، كما يعتمد البحث على التفاسير القرآنية في تحليل سياقات هذه الآيات مستندًا إلى القرائن والمصاحبات اللغوية؛ لفهم التمايز بين المعاني، مع الاستعانة بصفات الأصوات التي تقوم عليها هذه الألفاظ؛ لتعضيد معاني اللين وتقويتها، وللمساعدة في تلمُّسِ الفروق بينها، فألفاظ (اللين) الواردة في البحث يجمعها معنى عام، غير أن كل لفظة تتميز بملمح خاص يميزها عن غيرها؛ بما بينهما من تقارب دلالي.

لذا تطلب البحث دراسة كل لفظةٍ بشكلٍ دقيقٍ ضمن معناها العام مع مجموعتها الخاصة بها، فمجموعة ألفاظ: التطامن والتواضع يندرج تحتها: (الخشوع- اللين- التضرع- الذل- الإخبات- الخضوع)، ومجموعة ألفاظ السكينة يندرج تحتها (القنوت-

السكينة- خفض الجناح)؛ مما يسهم في توضيح خصائص كل لفظة عن غيرها ضمن السياق القرآني.

ومن هنا جاء هذا البحث؛ ليحدد هذه الملامح أو الميزات عن طريق المعنى اللغوي والسياقي مراعيًا القرائن اللفظية والمعنوية، بالإضافة إلى الدلالة الصوتية، مستخدمًا في ذلك المنهج الوصفي.

الكلمات المفتاحية:

ألفاظ، اللين، القرآن، الفروق، الدلالية،التحليل، اللغوي، والسياقي.

Words Indicating "Softness" in the Glorious Qur'ân: An Analytical Study in Light of the Theory of Semantic Differences

Abstract

This study aims to elucidate the semantic differences between words related to "softness" (لين) in the Glorious Qur'ân. Given the importance of these differences for the accurate understanding of the meanings of Qur'ânic verses, the study is titled "Words Indicating 'Softness' in the Glorious Qur'ân: An Analytical Study in Light of the Theory of Semantic Differences." It involves reviewing and analyzing Qur'ânic verses that include words related to "softness" to identify subtle differences by examining various Qur'ânic contexts and determining semantic differences based on these contexts.

The study begins with the linguistic roots of these words by consulting lexical dictionaries to identify their etymological meanings and then applies these meanings to the contexts, as context determines the appropriate meaning and highlights semantic differences. The study relies on Qur'ânic exegeses for context analysis, supported

by linguistic and collocational evidence to understand the distinctions between meanings. Additionally, it employs phonetic characteristics to support and enhance the meanings of softness and identify differences among them. Although the words related to softness share a general meaning, each word has a unique feature that sets it apart from the others, indicating a close semantic relationship.

Therefore, the study requires a detailed analysis of each word within its general meaning and specific group. For instance, the group of words indicating humility includes: *humbleness* (خشوع), *softness* (لين), *supplication* (تضرع), *submissiveness* (ذل), *reverence* (إخبات), and *obedience* (خضوع); while the group of words indicating tranquility includes: *devotion* (قنوت), *serenity* (سكينة), and *treat with kindness and compassion* (خفض الجناح). This classification helps clarify what distinguishes each word in the Qur'ânic context.

The study also identifies these features through linguistic and contextual meanings, considering verbal and conceptual clues along with phonetic significance, using a descriptive approach.

Keywords: Words, Softening, Quran, Semantic differences, Analysis, Linguistic, Contextual.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمـة

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ [الكَهْف : ١]

وبعـد....

فقد تميز العربُ في مجالات اللغة والأدب، وسبقوا الأمم في الفصاحة؛ لذا فقد كُرِّمت لغتهم بأن أصبحت وعاءً لكتاب الله ﷻ (القرآن الكريم)، وقد آتى هذا التميزُ العربَ معرفةً لمواضع الكلام، وانتقاءً للألفاظ في الدلالة على المعاني انتقاءً دقيقًا ومحددًا.

ويتجلَّى أثر هذا التميز في (الفروق الدلالية)؛ من حيث التفريقُ بين الألفاظ متقاربة المعاني؛ إذ لا تستخدم اللفظة إلا في موضعها الصحيح، فلا تحُلُّ كلمةٌ محلَّ كلمةٍ أخرى قريبةٍ منها في المعنى إلا على سبيل التجوز، أو ضرورة الشعر.

وقد وفقني الله تعالى لفكرة دراسة الفروق في بعض الألفاظ الدالة على اللين في القرآن الكريم؛ من حيث إحصاءُ مواضعها في كتاب الله، مع بيان ما تمتاز به كلُّ لفظةٍ عن الأخرى كلٌّ في سياقه، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدةُ أسباب، من أهمها ما يأتي:

١. الرغبة الشديدة في معرفة الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ في سياقاتها القرآنية المختلفة؛ ومعرفة الملامح والدلالات التي تتميز به كل لفظة عن الأخرى، وهذه الناحية من الدراسة تلمس هذه الدقائق؛ ومن هنا جاء البحث ليبرز الروابط الدلالية بين هذه الفروق وبين السياق والدلالة الصوتية لهذه الألفاظ، كما أراد البحث معرفة مواضع استعمالات هذه الألفاظ المرتبطة بالسياق.

٢ـ تحديد معاني بعض الألفاظ الدالة على اللين بشكل دقيق؛ لأن الفروق مقياسٌ من مقاييس الدقة في تحديد المعنى.

٣ـ فكرة البحث في الفروق في القرآن الكريم تُعدُّ إحياءً لتلك المعاني، وإزالة المشكل بين الألفاظ المتشابهة تشابهًا يلتبس فيه أحدهما بالآخر في الاستعمال.

*** يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:**

هل هناك فروق بين بعض الألفاظ الدالة على اللين؟ وهل هذه الألفاظ يمكن أن تحل بعضها محل بعض؟ أم أن السياق يقتضي استخدام كل لفظة في موضعها المحدد، وما العلاقة التي تربط هذه الألفاظ؟ وهل هذه الألفاظ على قدر واحد من الدلالة؛ أم أن لها خصوصية واستقلالًا؟ وهل هذه الخصوصية مرادة مقصودة مدركة في التعبير القرآني؟

* وجاء ترتيب تلك المواضع أو السياقات حسب ورودها في القرآن الكريم مع مراعاة البعد التعبدي، حتى تتحقق الراحة النفسية لدى القارئ، ويكون على فهم بالمواضع عند مطالعة البحث بهذا التسلسل، كما تم ترتيب الآيات تحت كل لفظة من الألفاظ الدالة على اللين بنفس الطريقة أيضًا.

* ووقع اختيار هذه الألفاظ بناء على وقوعها تحت معنى عامٍّ يجمعُها.

***منهج البحث**: المنهج الوصفي بأداتيه: الإحصائية والتحليلية، الذي يقوم على جمع وإحصاء بعض الألفاظ الدالة على اللين والخاصة بمجال البحث، والتي يجمعها معنى عامٌّ، ثم تحليل هذه الألفاظ معجميًّا، وسياقيًّا.

وقد تم جمع ألفاظ: (الخشوع- اللين- التضرع- الذل- الإخبات- الخضوع) تحت معنى: التطامن والتواضع؛ حيث إن هذا المعنى تشترك فيه هذه الكلمات جميعًا.

وجمع ألفاظ: (القنوت- السكينة- خفض الجناح) تحت معنى السكينة؛ لأنها تشترك في معنى السكينة.

*واقتصر البحث على هذه الألفاظ؛ لأن ملمح الطاعة والامتثال إلى جانب اللين فيها هو الملمح الأصلي -فيما يبدو لي- ولم يدخل في البحث ألفاظ كـ (الرحمة والإحسان والغفران...إلخ)؛ لأن ملمح الطاعة والامتثال بها ليس هو الملمح الأساس، وإنما هو ملمح فرعي، كما أنه تمت دراستها في بحوث أخرى، والبحث يهدف إلى التكامل لا التكرار.

وقد اعتمد البحث في التفريق بين الألفاظ على عدة أمور، من أهمها:

١. المعنى المعجمي.

٢. السياق بنوعيه: الداخلي (اللغوي)، وسياق الموقف (الخارجي).

٣. مراعاة قيود التوارد (المصاحبة).

٤. الاشتقاق.

٥. التركيب النحوي أحيانًا.

٦. المجاز.

والنظر للفروق بين معاني الكلمات من حيث ما يأتي:

أ. توسيع المعنى (تعميم المعنى).

ب . تضييق المعنى(تخصيص المعنى).

جـ . الاستئناس بنظريات[1] العالم اللغوي أبي الفتح عثمان بن جني: مثل قوة اللفظ لقوة المعنى... كلما أمكن.

وقد سبقت هذه الدراسة دراساتٌ عديدةٌ منها ما يأتي:

(١) النظريات الواردة في كتابه الخصائص وهي: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني . إمساس الألفاظ أشباه المعاني- وقوة اللفظ لقوة المعنى)، الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)،٢/١٤٥، ١٥٢، ٢٦٤.

١. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د/ محمد عبد الرحمن الشايع العبيكان، ١٩٩٣م.

تناول البحث فكرة الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم بشكل عام، وليس في جزئية معينة أو ألفاظ بعينها، ثم اختار الباحث نماذج لآيات من القرآن الكريم للتطبيق ليس من بينها سوى لفظتي: (الخشوع والخضوع) من الألفاظ الدالة على اللين والتي هي موضوع البحث الذي بين أيدينا، والتي تم تناولهما بصورة عامة.

٢. دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: د/ محمد ياس خضر الدوري، دار: الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

تناول البحث فكرة الفروق اللغوية في ضوء البيان القرآني بصفة عامة، مع بيان دور السياق في تحديد الفروق مطبقًا على نماذج من الآيات القرآنية، واضعًا مقاييس معينة لتحديد الفروق بين الألفاظ داخل الآيات القرآنية، ثم تناول البحث تطبيقًا عمليًّا على هذه النماذج في ضوء حقول تجمعها معانٍ عامَّةٌ، مقسمًا الفروق إلى: فروق بين أسماء الذوات، والصفات، والأحداث، وفروق بين الأبنية، وفروق بين الألفاظ المتقاربة الأصوات؛ فالبحث يشبه معجمًا للفروق الدلالية بين بعض الألفاظ المجموعة تحت حقول، يجمع ألفاظها معنى عام، وهذا البحث بعيد عن فكرة الدراسة الحالية، ولم يأت البحث إلا على لفظتي (الخشوع والخضوع)، فقد تناولهما بشكل عام تحت فصل: (فروق بين الألفاظ المتقاربة الأصوات)، ولم يأت على جميع مواضعهما في القرآن الكريم.

٣. معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د/ محمد محمد داود، دار غريب، ٢٠٠٨م.

تناول هذا المعجم فكرة الفروق الدلالية بين بعض الكلمات القرآنية متقاربة المعاني والأساليب المتشابهة، بصورة عامة غير محصية جميع سياقاتها القرآنية.

٤. الفروق اللغوية عند ثعلب من خلال شرح ديوان زهير دراسة تحليلية نقدية، د/ عصام فاروق إمام أحمد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، ع٩، ج٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠١٥م.
تناول هذا البحث الفروق اللغوية عند ثعلب من خلال شرح ديوان زهير مستعينًا بمبادئ نظريات عدة منها:
تحليل المعنى، الحقول الدلالية، والتكوين الثلاثي للمعنى، النظرية السياقية، واضعًا مقاييس معينة لتحديد الفروق بين الألفاظ في هذا الشرح.

* أما دراستي في القرآن الكريم فهي محددة بموضوع من الألفاظ الدالة على اللين؛ وذلك من خلال إحصاء المواضع التي وردت فيها، وتصنيفها تحت معنى عام يشملها، وتحليلها من الناحية المعجمية والسياقية، ووضع مقاييس معينة لتحديد الفروق الدقيقة بينها، ومن ثم النظر في دلالتها الصوتية، وربطها بالسياق.

وقد اقتضت **طبيعة البحث** أن يكون في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

التمهيد بعنوان: (معنى الفروق الدلالية)

المبحث الأول: الألفاظ الدالة على التطامن والتواضع، وهي:

١. الخشوع.

٢. اللين.

٣. التضرع.

٤. الذل.

٥. الإخبات.

٦. الخضوع.

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على السكينة، وهي:

١. القنوت.

٢. السكينة.

٣. خفض الجناح.

والخاتمة: لخَّصْتُ فيها أهمَّ النتائج التي توصل البحث إليها.

التمهـــــــــيد

معنى الفـروق الدلالـــية

الفروق في اللغة:

قال ابن فارس: «الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أُصَيْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزٍ وَتَزْيِيلٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ» (١).

وقال ابن منظور: «الفرق: الفصل بين شيئين»(٢)، واصطلاحًا: «يراد به التفريق بين دلالات الألفاظ المتقاربة» (٣).

يمكن أن يقال: إن الفروق هي المعاني الدقيقة، التي تميز لفظة عن أخرى، مع اشتراكهما في معنى عام يجمعهما، ويدخل تحت هذا الإطار ما أطلق كثير من القدماء عليه اسم: (الفرق)، كما يدخل ضمنه ما أطلق عليه بعض المحدثين: (شبه الترادف near synonymy)، و(التقارب الدلاليsemantic relation)، أو يمكن أن نقول: إنها بمعنى التمييز، والفصل بين الألفاظ التي يعتقد أنها بمعنى واحد.

وقد برزت فكرة الفروق الدلالية في القديم: على أيدي علماء العربية منذ البواكير الأولى للبحث اللغوي عند العرب، ونرى ذلك الحس اللغوي المرهف عند علمائنا الأوائل من أمثال: الخليل، وسيبويه، والأخفش، والكسائي، والمبرد، والفراء، وغيرهم.

ولعل كتب هؤلاء العلماء دليلٌ قوي على وضوح فكرة الفروق الدلالية بين الكلمات العربية، سواء على مستوى المفردات، أو على مستوي التراكيب اللغوية. ولعل

(١) المقاييس (ف ر ق)، (٤/٤٩٣).
(٢) لسان العرب لابن منظور (ف رق)، (٥/٣٣٩٨).
(٣) الفروق اللغوية في العربية ١٩.

أبرز مثال لهذا الجهد على المستوى المعجمي كتاب (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري...(١)

وفي الحديث: يقرر علم اللغة الحديث أن وقوع الترادف في اللغة لا يعني التساويَ التامَّ بين معنى مفردتين؛ وإنما يكون ذلك بمعنى تقارب الدلالة، فليس في اللغة لفظٌ ينوبُ عن آخرَ أو يقومُ مقامَه إذا أردنا الدقة في التعبير... وإنما هو وجه من وجوه تقارب المعنى(٢).

«وكان القول بالفروق هو: رأي أحمد بن يحيى ثعلب، نقله عنه وشرحه ابنُ فارس(٣)، وأكده أبو علي النحوي، وعلق عليه في كتاب المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات»(٤).

❁❁❁

(١) ينظر=ظ. معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ٧.
(٢) ظ.السابق١٠.
(٣) ظ. الصاحبي لابن فارس ص: ٥٩-٦٠.
(٤) الفروق اللغوية في العربية، د/ كاظم علي المشيري، ص ٣٧٩.

المبحثُ الأولُ
الألفاظُ الدالةُ على التطامن والتواضع
وهي: (الخشوع– اللين–التضرع– الذل– الإخبات– الخضوع).

معنى التطامن[١]: التطامن يدل على الخضوع والانخفاض، وأصله: (ط م ن)، وهو ميل إلى التواضع والسكون، أو الانخفاض في المستوى، وهو يعبر مجازًا عن الخضوع والميل إلى الاعتدال في السلوك؛ كخفض نبرة الصوت، والتذلل، وطأطأة الرأس، وغيرها من العلامات... .

معنى التواضع: التواضع من (و ض ع): وهو: يَدُلُّ عَلَى الْخَفْضِ لِلشَّيْءِ وَحَطِّهِ[٢]. تواضع العبدُ: تخاشَع، تذلَّل، عكسه تكبَّر[٣]، وهو يُستخدم مجازًا في اللين[٤]، والتواضع: إِظْهَار قدرَة من يتواضع لَهُ سَوَاء كَانَ ذَا قدرَة على التَّوَاضُع أَو لَا؛ أَلا ترى أَنه يُقَال: الْملك متواضع لخدمه... [٥].

أولًا– الخشوع من(خشع)

التأصيل اللغوي:

«(خَشَعَ) الْخَاءُ وَالشِّينُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى التَّطَامُنِ، يُقَالُ خَشَعَ، إِذَا تَطَامَنَ وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، يَخْشَعُ خُشُوعًا... »[٦].

وقد وردت في بعض المعاجم اللغوية[٧] مرتبطةً بمصاحِباتها اللغوية؛ فجاءت بمعنى: خضع، وذلَّ، وَخَافَ، وسكن، و«المعنى المحوري: هبوط ما شأنه الارتفاعُ والغِلَظ»[٨].

(١) ظ. مقاييس اللغة، (ط م ن) ٤٢٢/٣، الفروق اللغوية للعسكري، ٢٤٨، والمفردات في غريب القرآن، ٣٩٦، والكليات،٥١٣، بتصرف.
(٢) مقاييس اللغة، (و ض ع) ١١٧/٦.
(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، (و ض ع)٣/ ٢٤٥٦.
(٤)المفردات في غريب القرآن، ٢٠.
(٥)الفروق اللغوية للعسكري، ٢٤٩.
(٦)مقاييس اللغة، (خ ش ع) ٢/ ١٨٢.

الصفات الصوتية[١] لأصوات لفظة (خشع):

خشع	الصـفة أو السمة						الإجمالي
خ	مهموس	رخـــو		مستعل	منفتح	خفي[٢]	مصمت	٦ صفات
ش	مهموس	رخـــو	مصمت	مستفل	منفتح	خفي	متفشٍّ	٧ صفات
ع	مجهور	رخو، وعدَّه القدماء صوتا متوسطا.		مستفل	منفتح	خفي	مصمت	٦ صفات
إجمالي عدد الصفات: ١٩ صفة.				صفات القوة: ٧.		صفات الضعف: ١٢.		

وبالنظر لأصوات مادة (خ ش ع): يلاحظ ملاءمتها لمعنى التطامن، والسكون؛ فالخاء الحلقية المهموسة الرخوة تحاكى بداية حالة الخشوع التي تنتاب الشيء، والشين المهموسة الرخوة، والمتفشية التي فيها انتشار تحاكي امتداد وسريان الخشوع إلى الأجزاء، والعين المجهورة الحلقية تحاكي بأصواتها ذروة التطامن، والتلبس بالخشوع والسكون القلبي، الظاهر أثره على الجوارح، بداية من القلب ووصولًا إلى أجزاء البدن جميعًا، في حال الإنسان؛ فهذه الصفات تناسب معناها اللغوي.

* وردت مادة (خ ش ع) بمشتقاتها في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، في ستة عشر موضعًا.

وقد تنوعت سياقاتها كالآتي:

م	الآيات	السورة
١.	﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾	[البَقَرَةِ]

=
(١) ظ. مادة (خ ش ع) في اللسان، ٧١/٨، والمصباح المنير، ١٧٠/١ومعجم اللغة العربية المعاصرة، ٦٤٥/١.
(٢)المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١/ ٥٦٣.
(٣)وقد رجعت في إثبات (الصفات الصوتية) للألفاظ الواردة بالبحث لكتاب: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة لـ: د/عبد العزيز علام،١٥٤. ١٥٨.
(٤)صفة الخفاء هنا: ضد الوضوح وتأتي مقارنة بأصوات المد (و ا ي)؛ فهي أوضح الأصوات، وهذا الكلام مبنيٌّ على عدة أساسات، ذكرها د/ عبد العزيز علام، وهي: ١ـ أساس فسيولوجي، ٢ـ أساس فيزيائي، ٣. أساس إدراكي، ٤ـ أساس وظيفي. يرجع في هذه المسألة لكتاب عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة،١١١ ـ ١١٥.

	[البَقَرَة]	
٢.	﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩ ﴾	[آل عِمۡرَان]
٣.	﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ١٠٩ ﴾	[الإِسۡرَاء]
٤.	﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨ ﴾	[طه]
٥.	﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾	[الأَنبِيَاء]
٦.	﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ ﴾	[المُؤۡمِنُون]
٧.	﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥ ﴾	[الأَحۡزَاب]
٨.	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ ﴾	[فُصِّلَت]
٩.	﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥ ﴾	[الشُّورَى]
١٠.	﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ ﴾	[القَمَر]
١١.	﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ	[الحَدِيد]

	وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾	
١٢.	﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾	[الحَشْر]
١٣.	﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾	[القَلَم]
١٤.	﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾	[المَعَارِج]
١٥.	﴿ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾	[النَّازِعَات]
١٦.	﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾	[الغَاشِيَة]

١. الموضع الأول قوله –تعالى- :﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ [البَقَرَة].

أورد المفسرون في معنى (الخاشعين) أنهم: الخاضعون لطاعته، الخائفون سطواته[١]، المتواضعون المستكينون[٢]، والذي يؤيده السياق هو القول الثاني: المتواضعون المستكينون؛ فهم المؤمنون حقًا[٣]، الشاعرون بخشيته وتقواه، الواثقون بلقائه، والراجعون إليه عن يقين؛ بدلالة قوله تعالى في الآية بعدها:

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ [البَقَرَة]، والظن بمعنى: اليقين؛ فالخشوع هيئة في النفس نابعة عن الإيمان، وشدة اليقين الذي يبينه سياق الآية الكريمة؛ فيظهر أثره على الجوارح، أو على البدن ككل من سكون وتواضع.

(١) ظ. تفسير الطبري، ١٦/١.
(٢) تفسير الألوسي – روح المعاني، ١/ ٢٥٠.
(٣) الموسوعة القرآنية، ٩/ ٧٧.

* وآثر التعبير القرآني قوله تعالى: (خاشعين هنا)، ولم يقل: (خاضعين)؛ لكون الخضوع يحتاج إلى قوة وشدة، تُلجئ أو تجبر الإنسان على هذا الوضع، ولا يظهر أثره إلا على الأعناق.

* لكن الخشوع ناتج عن يقين وتسليم، مع استكانة عن رضا؛ لذا كان الأنسب للسياق السابق.

واسم الفاعل هنا: جمع مذكر، والتعبير بـ(اسم الفاعل) يدل دلالة واضحة على ثبوت هذه الصفة ودوامها، واستمرارها للمؤمنين المتواضعين.

ولعل أصوات لفظة:(خاشعين) مُلائمة ومناسبة لمعناها تمام الملاءمة، فزيادة على صفات (الهمس، والرخاوة) التي تمتاز بها بعض أصوات هذه اللفظة مع ما في (الشين) من تفشٍّ، بالإضافة إلى المد مع صوتي (خ، ع) فيه دلالة على مدى اللين والتواضع والاستكانة المستمرة الواضحة على كل البدن والجوارح، بدءًا من القلب المستسلم لله ﷻ ثم انتشارُها وتفشّيها وظهورها في كل البدن

* فالسياق هنا سياق يقين وتسليم؛ لذا جاء الخشوع بمعنى: التواضع التام.

٢- الموضع الثاني: قوله -تعالى- :﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ [آل عِمْرَان].

وقوله:(خاشعين لله) في سياق الآية الكريمة، قيل: بمعنى خاضعين[١]، وقيل: خائفين متذللين[٢].

(١) تفسير البغوي، ١٥٦/٢، وأيسر التفاسير للجزائري، ٤٣١/١.
(٢) تفسير الألوسي، ٢/ ٣٨٣،

جاء الحديث هنا عن أهل الكتاب، بعد أن جاء ذكرهم في بدايات السورة الكريمة؛ حيث تذكر الآية الكريمة للمسلمين أن الحق الذي بأيديهم لا يجحده أهل الكتاب كلهم؛ فإن منهم من يؤمن به، ويشهد بأنه حق؛ ولذلك وصفهم القرآن الكريم بالخشوع، وهو: التذلل والخضوع المنافي للتعاظم والاستكبار؛ أي: أنَّ الخشوع هنا بمعنى الخوف والتذلل للمولى ﷻ؛ لذا ذُيلت الآية الكريمة بقوله -جل وعلا- ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾، (خاشعين): اسم الفاعل يدل على الجمع المذكر، ويعبر عن دوام حالة الخشوع والتذلل للمولى ﷻواستمراره.

السياق هنا سياق يبين عظمة المولى ﷻ، ويخاطب المسلمين ببيان حال بعض أهل الكتاب؛ لذا ورد الخشوع هنا بمعنى: الخوف والتذلل.

والخشوع والخوف منشؤهما القلب، ويظهر أثرهما جليًّا على الجوارح.

(خاشعين): حال منصوب من فاعل (يؤمن) العائد على (من)، وجُمع مراعاة للمعنى، (لله) جارّ ومجرور متعلّق بخاشعين(١).

وأسند الخشوع هنا إلى الله ﷻ، و(خشع) جاء متعديًا بحرف الجر (اللام).

٣. الموضع الثالث: قوله -تعالى-: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإِسۡرَاء].

ومعنى (خشوعًا) في سياق الآية الكريمة: لين قلب، ورطوبة عين(٢)، (خشوعًا): مصدر.

يوضح سياق الآيات الكريمة طلب النبي ﷺ من قومه أن يجيبوه إن شاءوا آمنوا بالقرآن، وإن شاءوا لم يؤمنوا، وعليهم تحمل نتيجة اختيارهم، فإنهم إن لم يؤمنوا به فقد آمن به غيرهم، ويضع أمام أعينهم مثالًا لذلك، وهم الذين أوتوا العلم من قبله، المؤمنون

(١)الجدول في إعراب القرآن، ٤/ ٤٢٤.
(٢) الكشاف، ٢/ ٦٥٤.

بهذا القرآن؛ لعلهم يجدون المثل والقدوة في ذلك: قال -تعالى-: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء]، فيبين سياق الآية الكريمة أن الذين أوتوا العلم من قبله، يسمعون القرآن، فيخشعون، و﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ ولا يتمالكون أنفسهم من شدة الخشوع واللين؛ لذلك يخرون للأذقان سجدًا معبرة ألسنتهم بما يخالج مشاعرهم من تعظيم وإكبار وإجلال للمولىﷻ، ويأتي قولهم:

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾، ثم لا تكفيهم الألفاظ للتعبير عن ما يدور في نفوسهم وصدورهم من خشوع وخشية؛ فإذا الدموع تنهمر معبرة عن هذه المشاعر التي لا تستطيع الألفاظ التعبير عنها، فيقول المولى ﷻ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾؛ أي: رقة وليًنا زيادة على ما بهم من خشوع(١).

لما كان السياق سياق إيمان وخشية، ورد الخشوع هنا بمعنى: لين القلب والرقة.

٤. الموضع الرابع قوله -تعالى-:﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [طه].

(١) ظ. تفسير الألوسي، ٨/ ٥٧٣، التحرير والتنوير، ٢٥/ ١٢٧، بتصرف.

ومعنى (خشعت) في سياق الآية الكريمة ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾؛ أي: ارتخت، وخفيت، وخفضت، وتطامنت؛ لخشوع أهلها للرحمن؛ أي: الذي عمت نعمه[١]، (خشعت): فعل ماض مجرد.

سياق الآيات السابقة والتالية لهذه الآية الكريمة سياق إجلال وتعظيم لمقام المولى ﷻ؛ لذلك خشعت الأصوات: خفيت، وعم السكون، وأنصتت الجموع لمهابته تعالى وشدة هول المطلع؛ لذا تطلب الموقف انخفاض الأصوات وخفائها.

*وأسند الخشوع هنا للأصوات؛ فوصفت الأصوات بالخشوع، والمراد أصحابها؛ لهول الموقف وشدته.

٥. الموضع الخامس قوله –تعالى-: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأَنبِيَاء].

وقوله: ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ في سياق الآية الكريمة بمعنى: مخبتين متضرعين أو دائمي الوجل[٢]؛ لذا جاء التعبير باسم الفاعل بصيغة الجمع المذكر للدلالة على دوام حالة الخشوع والتذلل للمولى ﷻواستمراره.

سياق الآيات السابقة والتالية لهذه الآية الكريمة يبين أن المقام مقام مناجاة، وتوجه إلى المولى ﷻ بالدعاء، وفعل الطاعات والمسارعة فيها، في صورة تجمع بين الخشوع، وهو دوام المخافة والوجل؛ وهذا يوجب تعظيم المخوف منه، ولا شك أن الخشوع لله يقتضي التقوى؛ إذ هو سبب للفلاح، وإظهار الأعمال الخفية وغير الخفية التي يُتقرب بها إلى المولى ﷻ، فيجيء الرد بالفضل بالاستجابة.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥/٤٧.
(٢)تفسير الألوسي، ٩/ ٨٤.

وذلك: «أنهم كانوا مجبولين في أول ما خلقناهم جبلة خير، مهيئين لأنهم يسارعون في الخيرات؛ أي: يبالغون في الإسراع بها مبالغة من يسابق آخر، ودل على عظيم أفعالهم بقوله: (ويدعوننا) مستحضرين لجلالنا وعظمتنا وكمالنا رغبًا (في رحمتنا)، ورهبًا (من سطوتنا)، وكانوا؛ أي: جبلة وطبعًا لنا (خاصة) خاشعين؛ أي: خائفين خوفًا عظيمًا يحملهم على الخضوع والانكسار»[1].

«الخُشُوع: الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب؛ ولذلك قيل فيما روي: [إذا ضرع القلب خَشِعَتِ الجوارح، قال تعالى:

﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء] ، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾»[2].

وآثر التعبير القرآني استعمال لفظة (خاشعين) بدلًا من لفظة (متضرعين)؛ لأن التضرع يكون في مواطن الشدة والبأس والخوف؛ فالشدة هي التي تجعل الإنسان يلجأ إلى التضرع؛ وهذا يتنافى مع الخشوع؛ لأنه عبارة عن سكون واطمئنان؛ فالخشوع هيئة نابعة من النفس لتقواها واستقامتها ومدى اطمئنانها.

ولما كان السياق سياق إجلال وتعظيم؛ جاء الخشوع هنا بمعنى: الإخبات والوجل.

٦- الموضع السادس قوله –تعالى-:﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المُؤْمِنُون].

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥/ ١٠٧.
(٢) المفردات في غريب القرآن، ٢٨٣

ومعنى (خاشعون) في سياق الآية الكريمة: مخبتون لله، أذلاء، منقادون له، خائفون من عذابه[١]، بدلالة السياق اللغوي قبلها، المتمثل في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المُؤْمِنُون]؛ لأن الخشوع والإخبات والانقياد من صفات المؤمنين المفلحين .

فسياق هذه الآية الكريمة والآية السابقة لها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾؛ أي: وصلوا إلى المحل الأعلى، والقربة والسعادة ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ ظاهرًا وباطنًا، والخشوع في الظاهر انتكاس الرأس، والنظر إلى موضع السجود، وإلى ما بين يديه وترك الالتفات والطمأنينة في الأركان، ونحو ذلك، والخشوع في الباطن سكون النفس عن الخواطر، والهواجس الدنيوية بالكلية، أو ترك الاسترسال معها، وحضور القلب لمعاني القراءة والأذكار[٢].

فصور الخشوع هنا هيئة لمن أفلح، وهم المؤمنون المخبتون، والمنقادون إلى المولى ﷻ.

«وتقييده هنا بكونه في الصلاة لقصد الجمع بين وصفهم بأداء الصلاة وبالخشوع، وخاصة إذا كان في حال الصلاة؛ لأن الخشوع لله يكون في الصلاة وغيرها، إذ الخشوع محله القلب، وليس من أفعال الصلاة، ولكنه يتلبس به المصلي في حالة صلاته.

وذكر مع الصلاة؛ لأن الصلاة أولى الحالات بإثارة الخشوع وقوته؛ ولذلك قدمت؛ ولأنه بالصلاة أعلق، فإن الصلاة خشوع لله تعالى، وخضوع له؛ ولأن الخشوع لما كان لله تعالى كان أولى الأحوال به حال الصلاة؛ لأن المصلي يناجي ربه، فيشعر نفسه أنه بين يدي ربه فيخشع له»[٣]، (خاشعون): اسم الفاعل جمع مذكر يفيد دوام حالة الخشوع والتذلل للمولى ﷻواستمراره.

(١)تفسير المراغي، ١٨/ ٥.
(٢) تفسير الألوسي، ٩/ ٢٧١.
(٣) التحرير والتنوير، ١٨/ ٩.

لما كان السياق سياق مدح للمؤمنين وإعلاء لشأنهم وحثهم وترغيبهم على التقوى والفلاح؛ جاء الخشوع هنا بمعنى: الإخبات والانقياد.

٧- الموضع السابع قوله –تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأَحْزَاب].

ومعنى (والخاشعين والخاشعات) في سياق الآية الكريمة: المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم(١).

سياق الآية الكريمة سياق مدح، وتعظيم، وإعلاء قدر لأمهات المؤمنين، فهن القدوة والمثل، والخشوع هنا صفة للقلب والجوارح، تدل على تأثر القلب بجلال الله، واستشعار عظيم هيبته ﷻ؛ فيكون الانقياد التام، وتجنب المعاصي.

(خاشعين): اسم الفاعل جمع مذكر.

(الخاشعات): اسم الفاعل جمع مؤنث.

لما كان السياق سياق إجلال وتعظيم واستشعار لعظمة المولى –عز وجل-؛ جاء الخشوع هنا بمعنى: التواضع والتسليم التام.

«وجه تعداد الصفات المذكورة في هذه الآية لئلا يتوهم التسوية في خصوص صفة واحدة»(٢).

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٤/٧، تفسير الألوسي ١١/ ٢٠١.
(٢) التحرير والتنوير،٢٢/ ٢١.

٨. الموضع الثامن قوله –تعالى-: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فُصِّلَت].

ومعنى (خاشعة) في سياق الآية الكريمة: يابسة متطامنة، مستعارٌ من الخشوع بمعنى التذلل[١]، (خاشعة): اسم فاعل مفردًا مؤنثًا.

سياق الآيات القرآنية السابقة لهذه الآية والتالية لها سياق وحدانية عبادة، وخشوع، وسجود لله ﷻ توافق مع ذلك أن يكون التعبير عن الأرض بـ(خاشعة)؛ لذا « عبر بما هو أقرب إلى حال العابد... فقال: (خاشعة)؛ أي: يابسة لا نبات فيها، فهي بصورة الذليل الذي لا منعة عنده؛ لأنه لا مانع من المشيء فبها لكونها متطامنة... بخلاف ما إذا كانت مهتزة رابية متزخرفة تختال بالنبات...»[٢]

والسياق اللغوي المتمثل في قوله – تعالى-: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ بعد قوله ﷻ ﴿ خَٰشِعَةً ﴾ ليؤكد معنى الجدب واليبس لهذه الأرض قبل إنزال الماء عليها بقدرته جل وعلا، فكأنها في حالة ثبات وسكون، ثم تحركت بالحياة بعد نزول الماء عليها.

٩. الموضع التاسع قوله –تعالى-: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشُّورَى].

(١) تفسير أبي السعود، ٨/ ١٥، تفسير الألوسي،٣٧٧/١٢، التحرير والتنوير،٣٠٢/٢٤.
(٢)التحرير والتنوير،٢٢/ ٢١.

وقوله:﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ بمعنى:متذللين مُتضائلينَ مِمَّا دهاهُم[1]،(خاشعين): اسم الفاعل جمع مذكر يفيد دوام حالة التذلل للمولى ﷻواستمراره.

سياق الآيات القرآنية الكريمات التي وردت فيها هذه الآية سياق تبكيت، وتوبيخ، وتقريع للظالمين الضالين، وتصوير لحالهم، وما يكونون فيه من ذلٍّ، وهوانٍ، وندمٍ حال رؤيتهم للعذاب يوم القيامة بدليل قوله –تعالى– في الآية السابقة لهذه الآية حكاية عنهم: ﴿ ...وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ٤٤﴾ [الشُّورَى]؛ فجاء الرد ببيان حالهم، واستحضار صورة الظالمين آنذاك؛ لتكون عالقة في ذهن المخاطب[2] بقوله –تعالى–: ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ﴾، وهذا التعبير لبيان حالهم، وما هم فيه من ذل وهوان، ينظرون بعين منكسرة؛ ولأنه «لما كان الخشوع قد يكون محمودًا قال: من الذل؛ لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم، وانكشفت لهم عظمة من عصوه»[3].

١٠- الموضع العاشر قوله –تعالى– :﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧﴾[القَمَر] .

(خُشَّع) جمع (خاشع) جمع تكسير، وهو على وزن (فُعَّل)، وهو يفيد التكثير والمبالغة، فأفادت هنا المبالغة في وصف ما يكونون عليه من الذل والانكسار، وآثر التعبير القرآني ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ ... ٧﴾ [القَمَر] مبالغة في الخشوع، وسر تقديم الحال هنا: لهول الأمر وشدته، وعظيم نكرانه.

السياق العام للآيات الكريمة تهديد وإنذار للمشركين باقتراب القيامة، وبما يلقونه حين البعث من الشدائد؛ أي: أنهم يدعون «إلى شيء نكر؛ أي: فظيع تنكره النفوس لعدم

(١) تفسير أبي السعود، ٨/ ٣٥.
(٢)ظ. التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٨.
(٣) نظم الدرر، ٦/ ٦٤٤.

العهد بمثله، وهو هول القيامة، ويكنى بالنكر عن الفظيع؛ لأنه في الغالب منكرٌ غير معهود»[١].

ومعنى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ... ﴾: أذلة أبصارُهم من شدةِ الهولِ[٢].

«والخشوع في البصر: الخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأن العز والذل يتبين فيها»[٣].

السياق هنا سياق تبكيت، وتوبيخ، وتقريع، وتهديد؛ لذا جاء الخشوع هنا بمعنى: الذل.

١١. الموضع الحادي عشر قوله –تعالى– : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحَدِيد].

ومعنى: ﴿ أَن تَخْشَعَ ﴾: أي تذل وتلين[٤]، وقيل: تسكن وتطمئن[٥]، (تخشع): فعل مضارع.

سياق الآيات الكريمات: ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية الكريمة: «أن الله استبطأ قلوب المؤمنين على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ﴾؛ أي: يحين، وينتهي، ويدرك إلى غاية ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾؛ أي: أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقًا أو كذبًا ﴿أَن تَخْشَعَ ﴾؛ أي: أن يكون لهم رتبة عالية في الإيمان؛ بأن

(١) فتح القدير للشوكاني، ٥/ ١٤٧.
(٢) تفسير أبي السعود، ٨/ ١٦٨، ظ. تفسير الألوسي١٤/ ٧٩، وتفسير المراغي٢٧/٨٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن،١٢٩/١٧، فتح القدير للشوكاني ١٤٧/٥.
(٤)الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ٢٤٨.
(٥) ظ. أيسر التفاسير للجزائري، ٥/ ٢٦٩.

تلين، وتسكن، وتخضع، وتذل، وتطمئن؛ فتخبت، فتعرض عن الفاني، وتقبل على الباقي...»[(١)].

سياق الآيات يبين أن الخشوع هنا بمعنى: اللين والسكون.

١٢. الموضع الثاني عشر قوله –تعالى– : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحَشْر].

معنى ﴿ خَٰشِعًا ﴾؛ أي: خاضعًا [(٢)]متذللًا لعظمة الله[(٣)]، و(خاشعًا): اسم فاعل مفرد.

فسياق الآية الكريمة[(٤)] يبين أنه من شأن وعظمة وجودة ألفاظ القرآن، وقوة مبانيه، وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض؛ لرأيته –مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم– خاشعًا متصدعًا، أي: متشققًا من خشية الله سبحانه؛ حذرًا من عقابه، وخوفًا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل، وتخييل، يقتضى علو شأن القرآن، وقوة تأثيره في القلوب، ويدل على هذا قوله: ﴿ ... وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾، سياق الآيات هنا يبين أن الخشوع بمعنى: الخضوع والتذلل.

(١) نظم الدرر، ٧/ ٤٤٧، تفسير أبي السعود٨/ ٢٠٨.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، ١٠٨/٢٨.
(٣) تفسير القاسمي، ١٩٥/٩.
(٤) ظ. فتح القدير، ٢٠٧/٥.

١٣. الموضع الثالث عشر قوله –تعالى- : ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [القَلَم].

١٤. الموضع الرابع عشر قوله –تعالى-: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ [المَعَارِج].

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾: ذليلة خاضعة[١]، أسند الخشوع للأبصار في الموضعين، ووصفتْ الأبصارُ بالخشوعِ معَ أنه وصفُ الكلِّ لظهورِ آثارِهِ فيها[٢]، وسياق الآيات في أول هذين الموضعين، وهو قوله –تعالى-: ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾، وخشوع الأبصار: سكونها على كل حال لا تنفلت يمنة ولا يسرة، كما في قوله تعالى: ﴿ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣]، و(خاشعة): اسم فاعل مفرد مؤنث.

في الموضع الثالث عشر [٣]: السياق سياق توبيخ وتقريع لهم، وبيان لحال المشتركين؛ فهم كانوا في الدنيا يُدعون إلى طاعة الله، وهمْ سالِمُونَ أصحاء متمكنون، لا شيء يمنعهم؛ فلا يستجيبون، فجاء السياق؛ لبيان أنهم لا يدعون إلى السجود تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود في الدنيا، ثم إنه تعالى حال ما يدعوهم إلى السجود يسلب عنهم القدرة عليه؛ فيحول بينهم وبين الاستطاعة؛ فلهول الموقف وشدته تخضع وتذل أبصارهم من الخزي والهوان، فلا تتحرك.

وسياق قوله –تعالى- : ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ أي: تغشاهم، أو تسودهم حالة من الخضوع والذلة؛ فلا

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٧/١٨.
(٢) تفسير أبي السعود، ٣٥/٩.
(٣) ظ. تفسير الرازي، ٣٠/ ٦١٤. ٦١٥، والتفسير القرآني للقرآن، ١١١١/١٥.

يستطيعون تحريك أبصارهم من هول يوم القيامة، وهو اليوم الذي كانوا يوعدون[١]، والحال (خاشعة) مقدمة لشدة الأمر.

سياق الآيات هنا يبين أن (خاشعة) في الموضعين بمعنى: ذليلة خاضعة.

١٥. الموضع الخامس عشر قوله -تعالى-: ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾ [النَّازِعَات].

خاشعة: منكسرة ذليلة[٢].

سياق الآية الكريمة وسياق ما قبلها، وهي آيات القسم على مجيء الساعة، و«أن هذا اليوم واقع لا شك فيه، ولم يذكر لهذه الأقسام جوابا؛ لأن جوابها قد سبقها، في قوله ﷻ:﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۝٤٠﴾ [النَّبَإ : ٤٠]؛ أي: أن هذا العذاب القريب الذي أنذرناكم به واقعٌ وحقّ، فقال - جل شأنه-: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢... أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩... ﴾ الآيات [النَّازِعَات] »[٣]؛ فأخبرنا المولىﷻ عن حال المشركين الذين يكذبون بيوم الدين، وحال قلوبهم، وأبصارهم، مصورًا ما هم فيه من ذل وهوان من هول ما يرون يوم القيامة.

«والخشوع حقيقته: الخضوع والتذلل، وهو هيئة للإنسان، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي؛ من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة، قال تعالى:

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ في سورة اقتربت الساعة [٧] ،ومثله قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾ [القِيَامَة : ٢٤].

(١)ظ. تفسير الرازي، ٦٤٨/٣٠، التحرير والتنوير ٢٩٦/٣٠.
(٢)الجامع لأحكام القرآن، ١٩/ ١٩٦.
(٣)التفسير القرآني للقرآن، ١٦/ ١٤٢٨.

وإضافة (أبصار) إلى ضمير القلوب لأدنى ملابسة؛ لأن الأبصار لأصحاب القلوب، وكلاهما من جوارح الأجساد، مثل قوله: (إلا عشية أو ضحاها) [النازعات: ٤٦]»[١] .

ومن ثم يبين السياق أن خاشعة بمعنى: منكسرة ذليلة ، «وإنما أوقع الذلّ على الأبصار؛ لأنها هي المرآة التي تتجلى على صفحتها أحوال الإنسان، وما يقع في القلب من مسرات ومساءات»[٢]، وسر تأخير الحال في:﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ٩﴾ عن غيرها من الآيات؛ لكونه إخبارًا، أما بقية الآيات فلشدة الأمر، وهوله ونكرانه.

١٦. الموضع السادس عشر قوله –تعالى- :﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢﴾ [الغَاشِيَة].

سياق الآيات الكريمات يتحدث عن (الغاشية)؛ وهي القيامة التي تغشي الناس بدواهيها وشدائدها العظمى وزواجرها ونواهيها، ووصفت به الوجوه هنا؛ لأنها هي أول ما يُرى من الإنسان، أو أول ما يُواجِه به الإنسان، كما أن آثار الخشوع تظهر فيها.

«﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١﴾ [الغَاشِيَة]؛ أي: خبرها وقصتها، وهي القيامة... والاستفهام للتعظيم والتعجب مما في حيزه، مع تقريره: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢﴾ [الغَاشِيَة] أي: ذليلة، وهي وجوه أهل الكفر بالحق والجحود له»[٣].

وقد وُصفت الوجوه هنا بالخشوع، ومعناه: الذل ، ومن ثم نعلم أن خاشعة بمعنى: ذليلة.

ومن خلال التأمل في السياقات القرآنية السابقة يُلاحظ أن مادة (خشع):

* وردت في القرآن متعددة الاشتقاقات والصيغ؛ حيث وردت: مصدرًا في موضع واحد، وفعلًا ماضيًا مجردًا في موضع واحد، وفعلًا مضارعًا في موضع واحد ، واسم فاعل في ثلاثة عشر موضعًا، ووردت اسم فاعل (جمعا مذكرا) في ستة مواضع، ولم يرد اسم

(١) التحرير والتنوير، ٣٠/ ٦٨.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، ١٦/١٤٣٤.
(٣)تفسير القاسمي، ٩/ ٤٦٠.

الفاعل فيها إلا منصوبًا عدا موضع واحد، وهو الموضع السادس، وقد ورد في سورة [المؤمنون:٢]، ووردت اسم فاعل (جمعا مؤنثا، وجمع تكسير).

* وقد تنوعت في معانيها بتنوع السياقات القرآنية؛ حيث جاءت بمعنى: التواضع التام، والاستكانة، الخوف، والذل، واللين، والانخفاض، والإنصات، والإخبات، والسكون، والانكسار، والخضوع ، والتضرع ...، وكل هذه المعاني يتحملها الأصل اللغوي لمادة (خشع).

* وبالنظر إلى سياقات العذاب والتهديد والوعيد يُلاحظ أن: (الخشوع) جاء معها بمعنى الخضوع، وفي سياقات الرحمة يُلاحظ أن: (الخشوع) بمعنى اللين، والإخبات، والرقة، والتواضع.

* وفي مقام الإجلال والتعظيم لله ﷻ يُلاحظ أن: (الخشوع) بمعنى التواضع والتسليم التام.

ويُلاحظ أن (الخشوع) وصف للإنسان عامة، وتوصف به كذلك القلوب, والوجوه، والأبصار، والأصوات، ووصفت به الجمادات؛ كالأرض، والجبال كذلك من باب المجاز.

«إن الخشوع وَصْفٌ قلبي وجسمي، يكون في الصلاة وغيرها، ويوصف به الإنسان وغيره»(١).

* وفي حال وصف الإنسان به يكون له أثر في الصوت والبصر، والبدن عامة.

ثانيًا: اللـين من (ل ي ن):

التأصيل اللغوي:

مادة (ل ي ن) في المعاجم اللغوية:

(لَيَنَ) «اللَّامُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ اللِّينُ: ضِدُّ الْخُشُونَةِ... فُلَانٌ مَلْيَنَةٌ؛ أَيْ لَيِّنُ الْجَانِبِ»(٢).

(١)لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،١٣٢.
(٢)مقاييس اللغة (ل ي ن)، ٥/٢٥٥، وظ. معجم اللغة العربية (ل ي ن)، ٣/٢٠٥٧.

«اللِّينُ: ضدّ الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثمّ يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لَيِّنٌ، وفلان خشن، وكلّ واحد منهما يمدح به طورًا، ويذمّ به طورًا بحسب اختلاف المواقع، قال تعالى: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ[آل عمران/ ١٥٩]...ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّه [الزمر/ ٢٣]» [١]، فاستعمل اللين مجازًا في لين العيش، ولين الجانب...[٢] ولطف الطبع، والسهولة، والنعومة واليسر.

الصفات الصوتية لأصوات لفظة (ل ي ن)

لان	الصـــــفة							الإجمالي
ل	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	جانبي	٧
ي	مجهور	رخو	مستفل	منفتح	مصمت	واضـــــــــــــــح		٦
ن	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	أغن	٧
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ٢٠ صفة.						صفات القوة: ٧	صفات الضعف: ١٣	

بالنظر لأصوات لفظة (لين) يُلاحظ أنها يغلب عليها اللين والسهولة كمعناها، فيلاحظ فيها التوسط، الاستفال، والذلاقة، والانفتاح، وكذلك الغنة والخفاء التي تتميز بها النون، والجانبية أو الانحراف في اللام لعله يُنبئُ عن صعوبة وتأبٍّ، ثم سهولة بعد ذلك.

م	الآية	السورة
١.	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ	[آل عِمرَان]

(١) المفردات في غريب القرآن، ٧٥٢.
(٢)أساس البلاغة للزمخشري، (ل ي ن) ١٩٠/٢.

	عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾	
٢.	﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾	[طه]
٣.	﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾	[الزُّمَر]
٤.	﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾	[سَبَإ]

وقد تنوعت سياقاتها كما يأتي:

١. الموضع الأول قوله -تعالى-: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عِمۡرَان]

معنى: ﴿... لِنتَ لَهُمۡۖ... ﴾: رفقت بهم هذا الرفق بعدما فعلوا بك[١].

سياق الآية الكريمة بدأ بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف[٢]؛ أي: أنه قد كان من أصحابك ما يستحق الملامة والتعنيف بمقتضى الطبيعة البشرية...، ومع ذلك لنت لهم، وعاملتهم بالحسنى؛ بسبب الرحمة التي ألقاها الله ﷻ على قلبك، وخصّك بها[٣]، فاللين هنا: الرفق والتلطف، وحسن المعاملة، لكن اللين قوبل بشيئين: الفظاظة والغلظة.

(١) نظم الدرر، ٢/ ١٧٣.
(٢)تفسير أبي السعود، ٢/ ١٠٥.
(٣) تفسير المراغي، ٤/ ١١٢.

٢. الموضع الثاني قوله -تعالى- : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

معنى ﴿... لَّيِّنًا... ﴾ أي: خاليًا من الغلظة والعنف(١).

ومعنى الآية الكريمة: «كلماه بكلام رقيق لين؛ ليكون أوقع في نفسه، وأنجع في استجابته للدعوة، فبرقيق القول تلين قلوب العصاة، وتنكسر سورة الطغاة، ومن ثم جاء الأمر به لنبيه محمد ﷺ في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ...﴾ [النَّحل] »(٢).

٣. الموضع الثالث قوله –تعالى-: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر].

معنى ﴿... تَلِينُ... ﴾؛ أي: تطمئن قلوبهم وتسكن(٣)، ويقال: تقشعر وتلين بالخوف والرجاء؛ إذا سمعوا آيات الوعد (٤).

سياق الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ استئناف بياني نشأ نتيجة التضاد بين مضمون جملة ﴿ ... فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢]، ومضمون هذه الجملة، وهو أن القرآن يُلَيِّنُ قلوب

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣/٣٥٠.
(٢)تفسير المراغي، ١٦/ ١١٤.
(٣) تفسير السمرقندي، ٣/١٨٣.
(٤)لطائف الإشارات، ٣/ ٢٧٨.

الذين يخشون ربهم؛ لأن مضمون الجملة السابقة يثير سؤال سائل حول سبب قسوة قلوب الضالين من ذكر الله؛ لذلك جاءت جملة:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ مبينة أن قساوة قلوب الضالين من سماع القرآن إنما هي لرين في قلوبهم وعقولهم، لا لنقص في هدايته. وهذا كما قال تعالى في سورة البقرة[٢] :

﴿ ...هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: ٦- ٧] و«جمع بين الجلود والقلوب في قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، ولم يكتف بأحد الأمرين عن الآخر، كما اكتفى في قوله: ﴿ ... تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ...﴾؛ لأن اقشعرار الجلود حالة طارئة عليها، لا يكون إلا من وجل القلوب وروعتها؛ فكني به عن تلك الروعة.

وأما لين الجلود عقب تلك القشعريرة فهو رجوع الجلود إلى حالتها السابقة قبل اقشعرارها، وذلك قد يحصل عن تناس أو تشاغل بعد تلك الروعة، فعطف عليه لين القلوب؛ ليعلم أنه لينٌ خاصٌّ ناشئٌ عن اطمئنانِ القلوب بالذكر، كما قال تعالى ﴿: ...أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨]، وليس مجرد رجوع الجلود إلى حالتها التي كانت قبل القشعريرة، ولم يكتف بذكر لين القلوب عن لين الجلود؛ لأنه قصد أن لين القلوب أفعمها حتى ظهر أثره على ظاهر الجلود»[١].

(١) التحرير والتنوير، ٢٣/ ٣٩٠.

٤. الموضع الرابع قوله -تعالى- : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾ [سَبَإ] ومعنى ﴿... وَأَلَنَّا... ﴾: «وجعلنا الحديد في يده ليّنًا يسهل تصويره وتصريفه كما يشاء، فيعمل منه الدروع وآلات الحرب على أتم النظم وأحكم الأوضاع»(١).

سياق الآية الكريمة يتحدث عن بعض من أنابوا إلى ربهم؛ فأنعم عليهم بما آتاهم من الفضل المبين، ومن جملتهم داود عليه السلام ، فقد جمع الله له النبوة والملك والجنود الكثيرة، ومنحه صوتا رخيمًا، فكان إذا سبح تسبح معه الجبال الراسيات، وتتبعه الطيور السارحات، وعلمه صناعة الدروع؛ لتكون عدّة للمقاتلين ولباسًا للمجاهدين(٢).

***ومن خلال ما سبق يتجلى للقارئ ما يأتي:**

اللين جاء بمعنى: اليسر، والسهولة، والرفق، واللطف بعد الغلظ، والسكون والطمأنينة، وحسن التعامل، والتواضع؛ فهو: سهُولة، وانقياد، بعد تأبٍّ وإنكار.

اللين وصف للإنسان وغيره: وصف للإنسان؛ حيث وصف به القول، والقلوب، الجلود، ووصف به أشياء غير الإنسان؛ كالحديد كما سبق من السياقات.

ثالثًا: التضرع من(ض رع)

تدور مادة (ض رع) (٣) حول اللين، والذل، والخضوع، والخشوع، يقول الفيومي: «ضَرَعَ لَهُ... ذَلَّ وَخَضَعَ»(٤).

الصفات الصوتية لأصوات لفظة (ضرع):

(١) تفسير المراغي، ٢٢/ ٦٤.
(٢)ظ. تفسير المراغي، ٢٢/ ٦٣.
(٣)ظ. مادة (ض ر ع) في مقاييس اللغة، ٣٩٥/٣، معجم العربية المعاصرة، ١٣٥٩/٢. ١٣٦٠، المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١٢٨٢/٣.
(٤) المصباح المنير، ٢/ ٣٦١ (ض ر ع).

ضرع	الصـــفة								الإجمالي
ض	مجهور	متوسط، شديد حديثا		مستعل	مطبق	خفي	مستطيل	مصمت	٧
ر	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	مكرر		٧
ع	مجهور	رخو	مستفل	منفتح	مصمت	خفي			٦
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ٢٠ صفة.				صفات القوة: ١٠			صفات الضعف: ١٠		

بالنظر لأصوات لفظة (ضرع) يلاحظ أن اللفظة تحمل بين طياتها الذلّ والخضوع إلى جانب الشدة، فالضاد بما فيها من إطباق لتصور مدى إطباق الشدة على الإنسان، والراء بما فيه من تكرار ليصور تكرار اللجوء، والعين بنصاعته يحاكي وضوح حال المتضرع؛ لأن الضراعة تكون في أمر شديد، وموطن بأس، وهذا يستلزم الفزع، والتوسل بالدعاء، مع المبالغة في التذلل.

وقد تنوعت سياقاتها كالآتي:

م	الآية	السورة
١.	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢﴾	[الأنعام]
٢.	﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾	[الأنعام]
٣.	﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾	[الأنعام]
٤.	﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾	[الأعراف]
٥.	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾	[الأعراف]
٦.	﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ	[الأعراف]

	وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾	
٧.	﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾	[المُؤۡمِنُون]

١. الموضع الأول قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ [الأَنْعَام] معنى﴿يَتَضَرَّعُونَ ﴾: يتذللون، ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم(١).

سياق الآية الكريمة: «تسلية للرسول ﷺ وأنَّ عادة الأمم مع رسلهم التكذيب والمبالغة في قسوة القلوب حتى هم إذا أخذوا بالبلايا لا يتذللون لله ولا يسألونه كشفها، وهؤلاء الأمم الذين بعث الله تعالى إليهم الرسل أبلغ انحرافًا، وأشد شكيمة، وأجلد من الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ»(٢).

٢. الموضع الثاني قوله –تعالى-: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأَنْعَام] معنى التضرع: الخضوع والذل.

« ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾؛ أي: فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ﴿ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ استدراكٌ لما قبله؛ أي: فلم يتضرعوا إليه –تعالى– برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم إليه، ولكن ظهر منهم نقيضه؛ حيث قست قلوبهم؛ أي: استمرت على ما هي عليه من القساوة، أو ازدادت قساوة»(٣).

٣. الموضع الثالث قوله –تعالى-: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ [الأَنْعَام].

(١) الكشاف، ٢/ ٢٣.
(٢) البحر المحيط، ٤/ ٥١٣، وظ. تفسير الألوسي، ٣/١٤٣.
(٣) تفسير أبي السعود، ٣/ ١٣٣.

٤. الموضع الرابع قوله -تعالى-: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأَعْرَاف].

معنى التضرع الخشوع والخضوع والتذلل، وقد ذكر بعض المفسرين أن المراد بالتضرع هنا هو الخضوع والتذلل(١)، وذهب البعض إلى أن معنى ﴿تَضَرُّعًا ﴾ هنا: «دعاء الجهر»(٢).

يقول ابن عاشور: «تدعونه تضرعًا وخفية بالجهر بالدعاء، وهو الذي نختاره؛ لأنه أنسب بمقابلته بالخفية، فيكون أسلوبه وفقًا لأسلوب نظيره في قوله: ﴿... وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا...﴾ [الأَعْرَاف: ٥٦] وتكون الواو للتقسيم بمنزلة (أو)، وقد قالوا: إنها فيه أجود من (أو)، ومن المفسرين من أبقى التضرع على حقيقته وهو التذلل، فيكون مصدرًا بمعنى الحال؛ أي: متذللين، أو مفعولًا مطلقًا لـ (ادعوا)؛ لأن التذلل بعض أحوال الدعاء فكأنه نوع منه»(٣).

يبدو أن ما ذهب إليه ابن عاشور هو الصواب؛ وذلك بقرينة السياق اللغوي المتمثل في إتيان لفظة ﴿ وَخُفۡيَةٗ ﴾ المقابلة للجهر بعد لفظة ﴿ تَضَرُّعًا ﴾ مباشرة، وكون الواو بمنزلة واو (أو), وكذلك السياق الخارجي المتمثل في جو الآية الكريمة من تصور الخطر، وتذكر الهول، الذي يدني النفوس الجامحة، ويرقق القلوب الغليظة، ويذكر النفس بلحظات الضعف والإنابة، كما يذكرها برحمة الفرج، ونعمة النجاة، ففي قوله: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم﴾ سؤالُ توبيخٍ وتقريرٍ؛ أي: أنَّ الله يفعل ذلك، كما أن التعبير بالتضرع وليس الجهر هنا جاء لإضفاء معنى التذلل، الذي يظهر عليهم حال الدعاء علانية وسرًا؛ لأن لفظة التضرع نفسها حاملة لمعنى الخضوع والخشوع والتذلل، وإظهار الاستكانة، والتوسل، والتضرع وصفٌ يظهر على الإنسان.

(١)ظ. الكشاف، ٢/١٠٥، البحر المحيط، ٤/٥٤٢، نظم الدرر، ٢/٦٥٠.
(٢) فتح القدير للشوكاني، ٢/ ١٤٣، وظ. تفسير أبي السعود، ٣/ ١٤٥.
(٣)التحرير والتنوير، ٨-ب/ ١٧١. ١٧٢.

٥. الموضع الخامس قوله -تعالى-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ [الأَعْرَاف].

يبين المولى -جل وعلا- سنته في الأمم التي تكذب رسلها محذرًا ومهددًا لهم أن ينزل بها البؤس، وشظف العيش، وسوء الحال في دنياهم؛ ليتضرعوا إلى ربهم، وينيبوا إليه، ويخضعوا له، ويتوبوا عن تكذيب أنبيائهم.

٦. الموضع السادس قوله -تعالى-: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأَعْرَاف].

والتضرع: إظهار الضراعة، وهى الذلة، والضعف، والخضوع(١).

أي: «واذكر ربك الذي خلقك وربّاك بنعمه في نفسك؛ بأن تستحضر معنى أسمائه، وصفاته، وآلائه، وفضله عليك، وحاجتك إليه، متضرعًا له خائفًا منه راجيًا نعمه، واذكره بلسانك مع ذكره في نفسك ذكرًا دون الجهر برفع الصوت من القول، وفوق التخافت والسر، بل ذكرًا قصدًا وسطًا كما قال تعالى: ﴿... وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإِسْرَاء]»(٢).

وقوله تعالى ﴿ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾: إرشاد للعباد إلى أن الجهر، ليس لإسماع الله ﷻ، بل لغرض آخر، وهو: تصوير النفس بالذكر، وتثبيته فيها، ومنعها من الاشتغال بغيره، وقطع الوسوسة عنها، وهضمها بالتضرع(٣).

* فالتضرع يحدث في حالات الشدة، التي لا يمكن تجنبها، وعند اشتداد المحن على الإنسان؛ فإنه يلجأ إلى المولى ﷻ بتذلل شديد، يظهر أثره عند ارتجاف الصوت في أثناء الدعاء؛ فينخفض الصوت تارة، ويعلو تارة دون صياح، ثم يخفى بسبب هول الموقف.

(١) تفسير المراغي، ٩/ ١٥٤.
(٢) السابق، ٩/ ١٥٦.
(٣) تفسير أبي السعود، ٦/ ٥.

٧. الموضع السابع قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المُؤْمِنُون].

سياق الآيات الكريمة هو: سياق توبيخ وتقريع وذم للكافرين على إعراضهم عن اتباع الحق، والتشكيك فيما جاء به محمد ﷺ، وهو القرآن الكريم المعجز، الذي لا يمكن معارضته، ثم تدور الأحداث، ويقتل سراتهم بالسيف يوم بدر، وعلى الرغم من تحذيرهم ودعوتهم، ونصحهم، لم يتواضعوا في الدعاء، ولم يخضعوا، ولم يتذللوا لله -جل وعلا- ولو خضعوا لله لاستجاب لهم(١).

* فالتضرع هو: التذلل، والخضوع، والتواضع.

مما سبق يتضح أن التضرع تعددت سياقاته؛ فجاء بمعنى: التذلل في أوقات الشدائد، ويظهر أثر ذلك في الصوت، والخشوع، والخضوع، واللين، والضعف، دعاء الجهر، والاستكانة.

*ومن خلال السياقات القرآنية السابقة يُلاحظ الربط بين التضرع وبين مواطن البأس، كما في آيات [الأَنْعَام : ٤٢ - ٤٣]، [الأَعْرَاف: ٩٤] وبين الخوف كما في [المُؤْمِنُون: ٧٦]، وبين العذاب كما في [المُؤْمِنُون: ٧٦]، وبين الخفاء كما في [الأَنْعَام: ٦٣]، [الأَعْرَاف: ٥٥].

فالألفاظ الأربعة: التذلُّل، الخضوع، والخشوع، والتواضع تتقارب في المعنى، لكنها تحمل فروقًا دقيقة:

التذلُّل: إظهار العجز والانكسار أمام من يُتذلَّل له، مع الاعتراف بعدم القدرة على مقاومته.

الخضوع: الانقياد والطاعة، وقد يكون بدافع الخوف أو النفاق، دون ضرورة وجود انفعال صادق.

الخشوع: حالة قلبية تجمع بين التذلُّل والخضوع، نابعة من شعور صادق بعظمة من يُخشع له، وتظهر آثارها على الجوارح بالسكون والإقبال على العبادة، والتواضع وإظهار التقدير للآخرين، وعدم التعالي عليهم، والاعتراف بمكانتهم دون الشعور بالفوقية والكبر.

(١) ظ. فتح القدير، ٣/٤٩٥.

فـالتذلُّل يتعلق بإظهار العجز، والخضوع يشير إلى الانقياد، والخشوع يجمع بينهما مع شعور قلبي صادق بعظمة من يُخْشع له، والتواضع يعبر عن عدم التعالي.

رابعًا: الذُّل من(ذلَّ):

«(ذُلَّ): الذَّالُ وَاللَّامُ فِي التَّضْعِيفِ وَالْمُطَابَقَةِ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْخُضُوعِ، وَالِاسْتِكَانَةِ، وَاللِّينِ. فَالذُّلُّ: ضِدُّ الْعِزِّ» (١).

الصفات الصوتية لأصوات لفظة (ذلَّ):

اللفظة (ذلّ)	الصـــــفة							الإجمالي
ذ	مجهور	رخو	مستفل	منفتح	مصمت	خفي		٦
ل	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	جانبي	٧
ل	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	جانبي	٧
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ٢٠صفة.					صفات القوة: ٦			صفات الضعف: ١٤

بالنظر لصفات أصوات لفظة (ذلَّ) يُلاحظ تضاعف صفات الضعف، ولعل هذا يوحي بالمعنى الذي تحويه اللفظة، وهو الضعف والهوان.

فالذال فيها طرف اللسان يلامسُ الثنايا العليا، ثم يعودُ لحرف اللام الجانبي (المنحرف)، الذي يخرج من حافة اللسان إلى منتهى طرفه، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، فينحرف اللسان مع صوت اللام؛ ولعل في هذا التصور لنطق اللام – وهو مكرر في هذه المادة– تصويرًا لمدى الانحراف الذي يؤدي إلى هذا الهوان، وهذا التدرج في المخرج يصور كأن سقوطًا وانزلاقًا شديدًا من مكان عالٍ يحدث بمؤثرٍ خارجيٍّ.

تنوعت سياقاتها كالآتي:

(١)ظ مادة (ذل ل) في مقاييس اللغة، ٣٤٥/٢، وتكملة المعاجم العربية، ٨١٩/١ـ ٨٢٠.

م	الآيـــة	السورة
١.	﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾	[الإِسْرَاء]
٢.	﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ٤٥﴾	[الشُّورَى]

١. الموضع الأول قوله –تعالى-: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾ [الإِسْرَاء].

«﴿ ...مِّنَ ٱلذُّلِّ ...﴾: العجز والافتقار، وهو ضد العز، أي ليس له ناصر من أجل الذل»[١]

تختتم هذه السورة الكريمة (الإسراء) بهذه الآية.. فيلتقي ختامها مع بدئها؛ حيث بدأت بتسبيح الله وتنزيهه، ثم ختمت بحمده وتقديسه، فقد استوجب سبحانه وتعالى الحمد لجلاله وعظمته، والتنزيه عن اتخاذ الشريك والولد، وعدم موالاة أحد لمذلة عنده يدفعها بهذه الموالاة[٢].

١. الموضع الثاني[٣]قوله –تعالى-: ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ

(١) التحرير والتنوير، ١٥/ ٢٣٩.
(٢)التفسير القرآني للقرآن، ٨/ ٥٧٥. ٥٧٩، ظ. الكشاف، ٢/ ٦٥٥.
(٣) سبق معالجة هذا الموضع في مادة(خ ش ع) ص٩. ١٠ من البحث .

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ [الشُّورَى].

وسياق الآية الكريمة يعرض لحالهم وما هم فيه من انكسار وهوان، ينظرون بعين منكسرة؛ ولأنه «لما كان الخشوع قد يكون محمودًا قال: من الذل؛ لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم، وانكشفت لهم عظمة مَنْ عَصَوه»[١]، فالخشوع هنا مصحوب بـ(الذل)، فسياقات الذل تبين أنه بمعنى الخضوع والهوان، لكنه مفروض بقوة دخيلة وقهرية.

خامسًا: الإخبات من (خبت)

التأصيل اللغوي:

وردت مادة (خ ب ت) في المعاجم[٢] بمعنى:

الخشوع، والتواضع، واللين، وما اطمأن من الأرض واتسع، والخفاء أو الخَفِيّ من الأرض، والاستواء، يقول ابن فارس: «الخاء والباء والتاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خشوع، يقال: أخبت...، إذا خشع»، ويقول: ابن منظور: خبت: مَا اتَّسَعَ مِنْ بطُون الأَرْضِ». «أخبت الشَّخصُ إليه، أخبت الشَّخصُ له: خضع وخشع وتواضع له، اطمأنَّ وسكن...»[٣].

الصفات الصوتية لأصوات لفظة (خبت):

اللفظة (خبت)	الصفة					الإجمالي		
خ	مهموس	رخو	مستعل	منفتح	خفي	مصمت		٦
ب	مجهور	شديد	مستفل	منفتح	خفي	ذلق	مقلقل	٧
ت	مهموس	شديد	مستفل	منفتح	خفي	مصمت		٦
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ١٩ صفة.				صفات القوة: ٧		صفات الضعف: ١٢		

(١) نظم الدرر، ٦/ ٦٤٤.
(٢)ظ. مادة (خ ب ت) في مقاييس اللغة، المحكم والمحيط الأعظم ولسان العرب.
(٣)معجم اللغة العربية المعاصرة (خ ب ت)، ١/ ٦٠٥.

بالنظر في صفات أصوات لفظة (خبت) يُلاحظ غلبة صفات الضعف التي ترجح جانب اللين، ولعل هذا يتناسب ويتلاءم مع معنى التطامن والتواضع، وكذلك بعد بعض مخارج اللفظة؛ ليعبر عن شيء داخلي، يضاف إلى معنى اللفظة، وهو الخفاء.

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاثة سياقات، وهي:

م	الآيـــة	السورة
١.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۢبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾	[هُود]
٢.	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾	[الحَج]
٣.	﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ ﴾	[الحَج]

١. الموضع الأول: لفظة: ﴿ وَأَخۢبَتُوٓاْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۢبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [هُود].

المعنى السياقي لهذه الآية:

سبقت هذه الآية الكريمة ببيان حال البالغين أكثر غايات الخسارة؛ لتماديهم في الكفر والعنت؛ ولذلك ختم المولى ﷻ على سمعهم وأبصارهم، وتوعدهم بمضاعفة العذاب لهم، ثم استأنف المولى ﷻ بذكر مقابلهم، وهم الذين بلغوا أعلى درجات السعادة، بالإقبال عليه والطمأنينة إليه، فقال: ﴿ وَأَخۢبَتُوٓاْ ﴾ إلى ربهم، ومعنى الإخبات هنا: الطمأنينة كما يفهم من سياق الآية الكريمة، وأورد علماء التفسير لها معانيَ عدة؛

حيث يقول القشيري: «الإخبات: التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار»[١]، وذكر الراغب أن: «الخَبْت: المطمئن من الأرض...، ثمّ استعمل الإخبات استعمال اللّين والتّواضع، قال الله تعالى: وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ»[٢].

«الإخبات: الخشوع للمخافة الثابتة في القلب، وأصل الإخبات الاستواء، من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة: فالإخبات الخشوع والاطمئنان، أو الإنابة إلى الله ﷻ المستمرة ذلك على استواء»[٣].

ومن خلال ما سبق بيانه يتبين ما يأتي:

الإخبات جاء بمعنى: الاطمئنان، والخشوع، والتواضع، واللين، الاستواء، والإنابة.

ومعنى الإخبات هنا: الطمأنينة، والتواضع، والاستقرار، والثقة، والتسليم التام، وهو شيء داخلي، وشعور قلبي خفي دائم ومستمر، فيه سكينة خالصة، يخاطب بها القلب فقط، وتسود جميع الجوارح، يُمتدح بها المؤمنون الخُلَّص.

وبتأمل أصوات لفظة (وأخبتوا) يُلاحظ أن للمعنى علاقةً بالدلالة الصوتية؛ إذ تبرز الدلالة في استخدام الأصوات بعيدة المخرج (الهمزة، الخاء)؛ مما يصور البعد أو الشعور الداخلي المستمد من القلب، وكذلك أصوات الهمس (الخاء، والتاء) التي تصور الهدوء للنفس، والسكون للقلب، والسريان للمشاعر التي تتوغل إلى القلب، وكذلك صوت المد: الذي يوضح استمرار هذا السكون واستقراره، فهناك تغلغل، وبشدة داخل قلب الإنسان المخبت والمستسلم لله بكل جوارحه، فهو يصور أن هناك امتدادًا ودوامًا لمشاعر الرضا المستمر.

(١)ظ. لطائف الإشارات- تفسير القشيري، (٢/ ١٣٠).
(٢) ظ. المفردات في غريب القرآن، ٢٧٢، التحرير والتنوير، ١٢/ ٣٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٩/ ٢١.

وكذلك من ناحية المقطع الصوتي؛ فلعل افتتاح اللفظة بمقطع متوسط مغلق (أخ/ص ح ص) فيه دلالة على شدة الاطمئنان والتسليم، وانتهاؤها بمقطع متوسط مفتوح (تو/ص ح ح) فيه دلالة على دوام الطمأنينة واستمرارها.

كما أن لتعدية الفعل بـ (إلى) هنا دلالة واضحة على تمام الطمأنينة وتوافقًا مع السياق: «أخبت إلى: تضمن معنى اطمأن، فالحرف (إلى) مع امتداد الصوت، وتفريغ النَّفَس، وراحة الصدر؛ يفيد اطمئنان القلب، وسكون الأعضاء، وهذا المعنى يتفق مع سياق الآية الكريمة:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۢبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣﴾»[1]؛ أي: أن هناك إخبات طواعية، واستسلامًا تامًّا مع طمأنينة النفس، يحتفظ الإخبات بميزة الخفاء والشعور الداخلي.

٢. الموضع الثاني: ﴿ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾ [الحَج].

هذه الآية الكريمة[2]: تناولت حديثًا؛ مفاده أن الله ﷻ شرع لكل أمة من الأمم السابقة نسكًا من طاعته ﷻ بذكر اسمه عند الذبح، وأن الذبح يكون لله ﷻ على وجه التقرب إليه تعالى؛ لأنه هو الرزَّاق لهم؛ أي: أن هذا ليس خاصًا بالأمة الإسلامية وحدها، إذ إن العرب جعلوا لأصنامهم مناسك تشبه مناسك الحج، وجعلوا لها مواقيت ومذابح، فاختلفت المقاصد عند الناس باختلاف الأزمنة؛ ومن ثَمَّ جاء التأكيد على أنه الإله الواحد لكل البشر، فقال –جل شأنه–﴿...فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ

(١)التضمين النحوي في القرآن الكريم، ١/ ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) تفسير الرازي، ٢٢٥/٢٣، روح المعاني، ١٥٣/٩، تفسير المراغي، ١٧/ ١١٣.

...﴾؛ أي: فإن معبودكم واحد وإن اختلفت العبادات بحسب الأزمنة والأمكنة، ونسخ بعضها بعضًا، فما المقصد منها جميعًا إلا عبادة الله وحده لا شريك له كما قال: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ»، فأخلصوا له العمل، واستسلموا لحكمه، وانقادوا له فى جميع ما كلّفكم به.

﴿...وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: وبشر أيها الرسول المطمئنين، الخاضعين لله ﷻ بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة، بما أعدّ لهم من جزيل ثوابه، وجليل عطائه، وهذا الإذعان والتسليم التام بالعبودية محله القلب؛ أي: أنه نابع من الداخل، ويعضد ذلك سياق الآية الكريمة بعدها:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحَج]، والتي تناولت صفات المؤمنين المخبتين، فهم الذين توجل قلوبهم لذكر الله، والصابرون، المحتسبون، المقيمو الصلاة، المنفقون في سبيل الله.

وآثر التعبير القرآني التعبير بـ(المخبتين) وليس الخاضعين؛ لأن الحديث حديثٌ إلى القلوب، والإخبات شيء قلبي، أما الخضوع فهو شيء يظهر على الصوت والبدن ككل، والخضوع فيه ذل وانقياد، وأن: «...من يخضع له: فوقه، وأنه أعظم منه»(١).

وكذلك التعبير باسم الفاعل: فيه دلالة على رسوخ واستمرار هذه الصفات في المؤمنين، وهذا الرسوخ نابع من الداخل.

٣. الموضع الثالث: ﴿... فَتُخْبِتَ لَهُۥ... ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحَج].

(١)معجم الفروق اللغوية، ٢١٦.

ذكر بعض العلماء[١] أنها بمعنى: الخشوع، والخضوع، والسكينة، الاطمئنان، والإخلاص.

لكن سياق الآية هنا يرجح أنها بمعنى: الخضوع في طمأنينة، فالسياق قبلها سياق تشكيك وفتنة من الشيطان لمتبعيه من الذين في قلوبهم مرض، القاسية قلوبهم، ثم يأتي التثبيت والطمأنينة من المولى ﷻ لذين أوتوا العلم والمعرفة؛ فتطمئن قلوبهم إلى بيان الله وحكمه الفاصل: وسيهديهم إلى صراط مستقيم، قال جل شأنه في الآية نفسها: «وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»، يقول البقاعي: «فتخبت؛ أي: تطمئن، وتخضع له قلوبهم، وتسكن به قلوبهم، فإن الله جعل فيها السكينة»[٢].

والتعبير بالفعل المضارع في ﴿... فَتُخْبِتَ لَهُ... ﴾ : فيه دلالة على استمرار التسليم في خضوع وطمأنينة تامة لله –عز وجل–، وابتداء اللفظة بمقطع متوسط مغلق (تخ/ ص ح ص) فيه دلالة على شدة الطمأنينة بعد العلم والإيمان اللذين يؤديان إلى التسليم التام لهداية الله ﷻ.

والتعدية باللام في: ﴿... فَتُخْبِتَ لَهُ... ﴾ تفيد «تضمن معنى: خضع، والخضوع فيه كسر النفس،... والصوت المنقطع، ونفثة الصدر السريعة، يفيد خضوع الجارحة الموقوت، وخشوعها المنفعل بإثارةٍ تزول بزوال المؤثر، فقد يتوب العبد إلى ربه، ثم يعود إلى ما كان عليه مرة ومرة ومرة، وهذه الذبذبة تتفق مع سياق الآية السابقة لها واللاحقة بها»[٣]

والملاحظ: تنوع معاني الإخبات في السياقات الكريمة، لكنها كلها دارت حول الطمأنينة والاستواء، والسكينة، والخشوع، والخضوع بمعنى التسليم، وكلها معان قلبية

(١) ظ. تفسير الرازي، ٢٣/ ٢٤١، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٨٧، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥/ ١٦٥.
(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٥/ ١٦٥.
(٣) التضمين النحوي في القرآن الكريم، ١/ ٧٨ ـ ٧٩.

خالصة، تخاطب القلب خفية، كما أن السياقات القرآنية للإخبات ربطت بينه وبين القلوب وكذلك الخفاء، والتسليم التام، والثبات الإيماني.

التعدية بالحرف بين (أخبت إلى، وأخبت له) ودلالة السياق أضافت إلى الطمأنينة معنى الخضوع؛ ولذلك آثر التعدية باللام ؛ حتى يُشعر أن إخبات القلوب له جاء بعد شدة وقوة جبرية.

سادسًا: الخضوع من (خضع)

التأصيل اللغوي:

جاء في المقاييس: «الخاء والضاد والعين أصلان: أحدهما تطامن في الشيء، والآخر جنس من الصوت»[١]، يقول ابن منظور: «خضع: الخُضُوع: التواضُع والتَّطامُن...»[٢]، و«خَضَعَ لِغَرِيمِهِ يَخْضَعُ خُضُوعًا؛ ذَلَّ وَاسْتَكَانَ، فَهُوَ خَاضِعٌ، وَأَخْضَعَهُ الْفَقْرُ: أَذَلَّهُ وَالْخُضُوعُ قَرِيبٌ مِنْ الْخُشُوعِ إلَّا أَنَّ الْخُشُوعَ أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الصَّوْتِ، وَالْخُضُوعُ فِي الْأَعْنَاقِ»[٣]، «خضعًا، وخضوعًا وخضعانًا: مَال، وانحنى، وذلَّ، وانقاد له، لَان كَلَامه»[٤].

الصفات الصوتية لأصوات لفظة (خضع):

اللفظة (خضع)	الصفة					الإجمالي		
خ	مهموس	رخو		مستعل	منفتح	خفي	مصمت	٦
ض	مجهور	متوسط	خفي	مستعل	مطبق	مصمت	مستطيل	٧
ع	مجهور	متوسط، رخو عند المحدثين		مستفل	منفتح	مصمت	خفي	٦
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ١٩صفة.				صفات القوة: ١٠		صفات الضعف:		

(١) مقاييس اللغة (خ ض ع)، ٢/ ١٨٩.
(٢) لسان العرب (خ ض ع) ، ٨/ ٧٢.
(٣)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (خ ض ع) ١/ ١٧٢.
(٤) المعجم الوسيط(خ ض ع)، ١/ ٢٤١، وظ. المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١/ ٥٧٢.

		٩

بالنظر إلى صفات أصوات لفظة (خضع): يلاحظ أن صفات القوة بها تتغلب على صفات الضعف، وهو التعبير عن الذلَّ، والانقياد بقوة، وأن الذل أتى بقوة دخيلة، وفي صفات الضعف إيحاء بجانب من اللين والرقة إلى جانب الشدة؛ أي: أنها تحمل بين طياتها اللين والاستكانة إلى جانب الشدة.

وقد تنوعت سياقاته كالآتي:

م	الآيــة	السورة
١.	﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝٤﴾	[الشُّعَرَاء : ٤]
٢.	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٢﴾	[الأَحْزَاب: ٣٢]

وقد ورد الخضوع في القرآن الكريم مرتين في موضعين مختلفين:

١. الموضع الأول: قوله –تعالى-:﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشُّعَرَاء -: ٤] ذهب كثير من المفسرين(١) إلى أن: (خاضعين) بمعنى: منقادين، مستكينين، مذعنين – ﴿...فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝٤﴾ أي: «مُنقادين، وأصلُه فظلوا لها خاضعين، فأُقحمت الأعناقُ؛ لزيادةِ التَّقريرِ ببيانِ موضعِ الخضوعِ، وتُرك الخبرُ على حالِه، وقيل: لما وُصفت الأعناقُ بصفاتِ العُقلاء؛ أُجريتْ مجراهم في الصِّيغةِ أيضًا، كما في قولِه تعالى:

(١) تفسير الطبري – جامع البيان، ت شاكر ٧/ ٥٠٠، تفسير البيضاوي، ٤/ ١٣٣.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يُوسُف]، وقيل: أُريد بها الرُّؤساءُ والجماعاتُ، من قولِهم: جاءنا عنقٌ من النَّاسِ؛ أي: فوجٌ منهم»[(١)].

مما سبق يتضح: أن الخضوع جاء بمعنى الانقياد، وعبر بالأعناق وأراد جميع البدن؛ حيث إن أثر ذلك الخضوع يظهر على الصوت والبدن ككل، ومنها الأعناق محل الخضوع، والسياق القرآني يعضد ذلك.

وبتأمل أصوات لفظة ﴿...خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ يلاحظ المناسبة بين أصوات اللفظة ومعناها؛ حيث إن قوة أصواتها تصور قوة معناها، فالخاء مع حرف المد بعده يصور مدى الانقياد وقوته، وكذلك الضاد والعين –مع المد– يصوران شدة الإلزام بالخضوع من قِبل المولى –عز وجل– اللامتناهي لهذه الآية المنزلة عليهم من السماء، وقوة الأصوات توحي بقوة الإخضاع.

٢. الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأَحْزَاب: ٣٢].

ذهب كثير من المفسرين[(٢)] أن المعنى هنا لقوله: ﴿... فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ...﴾ أي: لا تلن، ولا ترققن القول، ولا تملن .

يقول الشوكاني: «ومعنى فلا تخضعن بالقول؛ لا تلن القول عند مخاطبة الناس، كما تفعله المريبات من النساء، فإنه يتسبب عن ذلك مفسدة عظيمة»[(٣)].

(١) تفسير أبي السعود – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٦/ ٢٣٤.
(٢) ظ. تفسير السمرقندي– بحر العلوم، ٥٩/٣، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٦/ ١٠٢، التفسير القرآني للقرآن، ١١/ ٧٠٥.
(١) فتح القدير للشوكاني، ٤/ ٣١٩

تعليق على المبحث:

مما سبق بيانه يُلاحظ أن ألفاظ اللين: (الخشوع- اللين- التضرع- الذل- الإخبات- الخضوع) يجمعها معنى عام واحد؛ وهو: التطامن والتواضع، إلا أن كل لفظة تتميز بميزة أو ملمح خاص عن الأخرى؛ فبينهما تقارب دلالي، ويجمعها أيضًا الطاعة والامتثال للمولى ﷻ.

وفيما يلي نستعرض هذه الميزات والفروق التي بينها:

١. الخشوع والتضرع.

« الخُشُوع: الضّراعة، أكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح.

والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب؛ ولذلك قيل فيما روي، روي: «إذا ضرع القلب خَشِعَتِ الجوارح»(١).

الخشوع وَصْفٌ قلبي وجسمي، يكون في الصلاة وغيرها، ويوصف به الإنسان وغيره.

الخشوع سكون وتطامن، والتضرع ضعف وانقياد، ويمكن القول بأن بينهما عمومًا وخصوصًا من وجه، فالعموم بينهما في الذل والانكسار، ولكن الخشوع يختص بالسكون، والتضرع بالانقياد، فالتضرع خشوع أي سكون حال اشتداد الكرب والمحنة.

والخشوع من ناحية ملاءمة أصواته لمعناه؛ فأصوات اللفظة تتناسب مع معنى شمول الاطمئنان، واللين وشيوعه شاملًا الإنسان وجوارحه، وكذلك غير الإنسان حتى من الجمادات.

والتضرع من ناحية ملاءمة أصواته لمعناه؛ أصوات اللفظة متناسبة مع معنى اللين؛ حيث تساوت صفات أصوات الضعف فيه مع صفات أصوات اللين؛ مما يبين تلاؤم اللين مع الحزم، فالتضرع يحتاج إلى انكسار ولجوء في شدة.

٢. الخشوع والخضوع.

(٢)المفردات في غريب القرآن، ٢٨٣.

*الخشوع: كالخضوع، لكن أكثر ما يقال في الخشوع ما اعتُبر فيه حال القلب، والخضوع فيما اعتُبر فيه حال الجوارح، وإن كان يُستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر.

«وفَرَّق بعضُهم بين الخضوع والخُشوع، فقال: الخُضُوع في البدنِ خاصةً، والخُشُوع في البدنِ والصوت والبصر فهو أعمُّ منه»[(١)]، فالخشوع أعم من الخضوع.

* فالخشوع يكون في البدن، والصوت، والقلب وغيرها.

* والخضوع لا يكون إلا في البدن خاصة.

الخشوع من أعمال القلب، وتظهر آثاره على الظاهر، فلا يكون تكلفًا؛ فهو ثبات الخوف في القلب من دون إجبار.

الخضوع تطامن وتطأطؤ لا يلزم أن يكون معه خوف؛ لذا أكثر ما يستخدم في الأعناق، ويجوز أن يكون متكلفًا ولا يسند إلى القلب.

٣. الخشوع والإخبات: وأصل: الخشوع- الإخبات، وقيل الإخبات: هو خشوع مستمر على استواء، ويحتفظ الإخبات بميزة الخفاء والشعور الداخلي؛ لأن موضع الإخبات هو القلب، لا يوصف المؤمن بالإخبات إلا إذا اتصف بالخشوع؛ فالإخبات مصاحب وملازم للخشوع ، فالخشوع والإخبات متكاملان متلازمان.

٤. الخشوع والذل: سياقات الذل تبين أنه بمعنى الخضوع والهوان، لكنه مفروض بقوة دخيلة وقهرية، فهو خشوع في ضعف.

٥. الخشوع واللين: استعمل الخشوع استعمال اللين والتواضع محاكاة للمعنى القلبي الداخلي، والظاهري كذلك، وجاء اللين بمعنى: اليسر، والسهولة، والرفق، واللطف بعد

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ١/ ٣٣١.

الغلظ، والسكون، والطمأنينة، وحسن التعامل، والتواضع؛ فهو: سهُولة، وانقياد، بعد تأبٍّ وإنكار.

اللين وصف للإنسان وغيره: وصف للإنسان، ووصف به القول، والقلوب، والجلود، ووصفت به أشياء غير الإنسان، كالحديد كما سبق من السياقات، فهو خشوع لكن بعد تأب وإنكار.

٦. الفرق بين الخضوع والذل: أن الخضوع تطامن وتطأطؤ، لا يلزم أن يكون معه خوف، والذل: الانقياد كرهًا، ونقيضه العز، وهو الإباء والامتناع والانقياد على كره، وفاعله ذليل.

من السابق يتضح الآتي:

تشترك الألفاظ الدالة على اللين في أنها تعبر عن طاعة وامتثال لله ﷻ، لكنْ لكل منها ملمحا يختص بها، ويميزها عن غيرها.

*الفروق بين ألفاظ:(الخشوع- اللين- التضرع- الذل- الإخبات- الخضوع) من ناحية العموم والخصوص:

١. الخشوع والتضرع

الخشوع حالة قلبية وجسدية ظاهرة على الجوارح، يكون في الصلاة وغيرها، ويوصف به الإنسان وغيره.

والتضرع: لجوء إلى الله –تعالى- بالدعاء والخضوع مع إظهار الافتقار والتذلل بين يديه، ويختص بالإلحاح في الدعاء وقت الحاجة.

الخشوع: أوسع وأعم من التضرع؛ فهو يشمل حالة داخلية (سكونا)، وهي حالة القلب، وظاهرية؛ وهي: (سلوك الجوارح)، ويمكن أن يتحقق في أي حالة دون شرط اقترانه بالدعاء.

والتضرع: ضعف وانقياد؛ فبينهما علاقة عموم وخصوص من وجه، فالعموم بينهما في الذل والانكسار، ولكن الخشوع يختص بالسكون، والتضرع بالانقياد.

فكل تضرع خشوع، وليس كل خشوع يكون تضرعًا؛ ومن ثم يمكن أن يتحقق الخشوع في مواقف أخرى غير الدعاء.

٢. الخشوع والخضوع

يشتركان في أنهما يعبران عن التذلل والطاعة:

الخشوع: كالخضوع، لكن أكثر ما يقال في الخشوع ما اعتُبر فيه حال القلب، والخضوع فيما اعتُبر فيه حال الجوارح، وإن كان يُستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر كما سبق بيانه، وبينهما عموم وخصوص من وجه، فالخضوع أعم من الخشوع ؛ لأن الخضوع قد يكون لله ﷻ وغيره؛ ولأن من يخشع لله فهو خاضع له، لكن الخاضع قد لا يكون خاشعًا إن لم يقترن خشوعه بخشية القلب.

ومن ناحية الخصوص: الخشوع أخص من الناحية القلبية؛ لأن الغالب أن الخشوع لا يكون إلا لله مع استشعار عظمته.

*من ناحية ظهوره:

فالخشوع يكون في البدن والصوت والقلب وغيرها.

والخضوع لا يكون إلا في البدن خاصة، الخشوع من أعمال القلب، وتظهر آثاره على الظاهر فلا يكون تكلفًا؛ فهو ثبات الخوف في القلب.

الخضوع تطامن وتطأطؤ لا يلزم أن يكون معه خوف؛ لذا أكثر ما يستخدم في الأعناق، ويجوز أن يكون متكلفًا، ولا يسند إلى القلب.

٣. الخشوع والإخبات: الخشوع والإخبات يتفقان في كونهما من مظاهر طاعة الله ﷻ وأصل: الخشوع- الإخبات، وقيل الإخبات: هو خشوع مستمر على استواء، يحتفظ الإخبات بميزة الخفاء والشعور الداخلي؛ لأن موضع الإخبات هو القلب، لا يوصف

المؤمن بالإخبات إلا إذا اتصف بالخشوع؛ فالإخبات ملازم للخشوع، والخشوع أعم من الإخبات.

* فكل إخبات يتضمن خشوعًا؛ لأن الخشوع لا يتحقق إلا بالخضوع والامتثال لله ﷻ.

فليس كل خشوع إخباتا؛ لأن الخشوع قد يتضمن خضوعًا دون أن يكون مصحوبًا بالطمأنينة والسكينة التي تميز الإخبات.

٥. الخشوع والذل: يتفقان في كونهما من مظاهر طاعة الله ﷻ والامتثال لأمره، وسياقات الذل تبين أنه بمعنى الخضوع والهوان، لكنه مفروض بقوة دخيلة وقهرية، فهو: خشوع ممزوج بالضعف.

الذل أعم من الخشوع من وجه؛ لأنه يشمل كل أشكال التذلل والانكسار، سواء كان لله أو لغيره، وبالاختيار أو بالإكراه.

والخشوع يقتصر على التذلل لله وحده؛ فهو -كما مر- حالة قلبية عميقة من السكينة والخضوع مصحوبة بالعبادة.

فالخشوع والذل متلازمان؛ إذ إن الخشوع يتضمن الذل، فالخاشع يظهر الذل لله ﷻ عن طواعية وحب؛ فليس كل ذل خشوعًا؛ لأن الذل قد يكون بلا سكينة وبلا حضور قلب.

الخشوع واللين: اللين يسر وسهولة ورفق ولطف بعد الغلظ، والسكون والطمأنينة، وحسن التعامل، والتواضع؛ فهو: سهُولة، وانقياد، بعد تأبٍّ وإنكار.

اللين وصف للإنسان وغيره، والخشوع حالة قلبية وجسدية ظاهرة على الجوارح، يكون في الصلاة وغيرها، ويوصف به الإنسان وغيره، فالخشوع يراعي جانب الطاعة والعبادة، بينما اللين يركز أن يكون في أمور أخرى لا تتعلق بالعبادة.

اللين أعم من الخشوع من وجوه؛ والخشوع أخص؛ فكل خاشع ليِّنٌ، ولكن ليس كل لين خاشعًا؛ فاللين يظهر في مواقف لا علاقة لها بالخشوع، كما أن الخشوع يتطلب لينًا في القلب.

ويصبح الخشوع ذُلًّا في سياقات التوبيخ والتهديد والتقريع.

٦. الإخبات واللين:

استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع محاكاة للمعنى القلبي الداخلي، وجاء اللين بمعنى: اليسر، والسهولة، والرفق، واللطف بعد الغلظ، والسكون والطمأنينة، وحسن التعامل، والتواضع؛ فهو: سهُولة، وانقياد، بعد تأبٍ وإنكار.

اللين وصف للإنسان وغيره، والإخبات هو خشوع مستمر على استواء؛ فبينه وبين اللين علاقة عموم وخصوص من وجه.

فالإخبات: خضوع وسكينة للهﷻ؛ وهو أخص من اللين؛ لأنه مقترنٌ بالعبادة والطمأنينة، واللين أعمُّ؛ فكل إخباتٍ فيه لين؛ وليس كل لين إخباتًا؛ لأن اللين يكون في أمور أخرى لا تتعلق بالعبادة.

٧. الفرق بين الخضوع والذل: الخضوع سبق بيانه، والذل الانقياد كرهًا، ونقيضه العز، وهو الإباء والامتناع، والانقياد على كرهٍ، وفاعله ذليلٌ، سياقات الذل تبين أنه بمعنى الخضوع والهوان، لكنه مفروض بقوة دخيلة وقهرية في الغالب، لكن الخضوع قد يُفرض بالقوة أحيانًا، وليس على الدوام.

الذل أعم من الخضوع؛ لأن الذل يشمل الانكسار، والخضوع بشكل عام، سواء لله أو لغيره، كما بينته السياقات الواردة بالبحث، الذل من مظاهر التواضع والانكسار، سواء كانت لله أو لغيره، وسواء كانت طواعية أو قهرًا.

مما سبق يتبين الآتي:

* الإخبات به ملح الخفاء.
* الخشوع يتجلى أثره في الصوت والبصر.
* الخضوع يبرز أثره في الجسد عامة؛ أي: تتبعه هيئة للبدن، وهو مفروض بقوة أحيانًا.
* التضرع يحمل في طياته التذلل.
* اللين سهُولة، وانقياد، بعد تأبٍ وإنكار؛ فهو رفق بعد غلظ.
* الذل مفروض بقوة دخيلة.

المبحث الثاني

الألفاظ الدالة على السكينة

وهي:(القنوت– السكينة– خفض الجناح)

أولًا: القنوت من(قنت)

التأصيل اللغوي:

(قنت) في المعاجم اللغوية:«الْقَافُ وَالنُّونُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى طَاعَةٍ وَخَيْرٍ فِي دِينٍ... وَالْأَصْلُ فِيهِ الطَّاعَةُ»(١).

الصفات الصوتية لأصوات لفظة (قنت)

قنت	الصفة							الإجمالي
ق	مجهور قديما مهموس عند المحدثين	شديد	مستعل	منفتح	خفي	مصمت	مقلقل	٧
ن	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	خفي	ذلق	أغنّ	٧
ت	مهموس	شديد	مستفل	منفتح	خفي	مصمت		٦
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ٢٠صفة.				صفات القوة: ٨			صفات الضعف: ١٢	

بالنظر في صفات أصوات لفظة (قنت) يلاحظ أنها: تحوي صفات قوة تناسب معناها، وكذلك صفات ضعف تظهر اللين والسهولة، وتعضد هذا المعنى من لين جانب وتواضع وخشوع، فالقاف بشدته واستعلائه، تناسب القيام على الطاعة بما يجب، والنون بخفائه والتاء بهمسه يحاكيان الاطمئنان الداخلي، وسريانه إلى جميع الأجزاء.

وقد تنوعت سياقاتها كما يأتي:

(١) مقاييس اللغة(ق ن ت)، ٥/ ٣١.

م	الآيات	السورة
١.	﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾	[البَقَرَة]
٢.	﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾	[البَقَرَة]
٣.	﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾	[آل عِمۡرَان]
٤.	﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾	[آل عِمۡرَان]
٥.	﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾	[النِّسَاء]
٦.	﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾	[النَّحۡل]
٧.	﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾	[الرُّوم]
٨.	﴿ * وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾	[الأَحۡزَاب]
٩.	﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ	[الأَحۡزَاب]

	وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾	
١٠.	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾	[الزُّمَر]
١١.	﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾	[التَّحْرِيم]
١٢.	﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾	[التَّحْرِيم]

وردت مفردة (القنوت) بكافة مشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاث عشرة مرة (١٣)، في اثنتي عشرة آية (١٢).

١. الموضع الأول قوله -تعالى-: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [البَقَرَة] معنى﴿ ...قَٰنِتُونَ...﴾: طائعون ومنقادون لله ﷻ[١].

(١)الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٨٦، تفسير الألوسي، ١/ ٣٦٥، والتحرير والتنوير، ١/ ٦٨٥.

السياق: سياق وحدانية وتنزيه للمولى ﷻ عن اتخاذ الولد؛ فجاء الرد بالتأكيد على عظيم قدرته واتساع ملكوته، وبيان أن كل من في السماوات والأرض: طائعون، ومنقادون، وخاضعون له –جل شأنه–.

٢- الموضع الثاني: قوله –تعالى–: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ [البَقَرَةِ]، معنى ﴿... قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ أي: ساكتين عن الكلام المبطل للصلاة[١]، «ولم يعن به كلّ السّكوت، وإنما عني به ما قال عليه الصلاة والسلام: (إنّ هذه الصّلاة لا يصحّ فيها شيء من كلام الآدميّين، إنّما هي قرآن وتسبيح)»[٢]، وقيل: خاشعين لله مستشعرين هيبته وعظمته[٣].

سياق الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة هو سياق آيات أحكام بعضها في العبادات، وبعضها في المعاملات...، وقد جرت سنة القرآن أن يأتي عَقِب الحكم: الأمر بتقوى الله، والتذكير بعلمه بحال عباده، وما أعدّ لهم من جزاء على العمل، حتى يقوى الوازع الديني في النفوس، ويحفزها على الإخلاص فيه، لكن النفوس قد تغفل عن هذا التذكير بانهماكها في مشاغل الحياة...؛ ومن ثم كانت في حاجة إلى مُذَكِّر، يرقى بها إلى العالم الروحي...؛ لهذا أردف هذه الأحكام بطلب الصلاة والمحافظة عليها، وأدائها على وجهها والقنوت فيها؛ لتحدث في النفس آثارها[٤].

وروي من حديث زيد بن أرقم، قال: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلاَةِ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا أَخَاهُ فِي حَاجَتِهِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ

(١) ظ. الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٨٦، المحرر الوجيز ، ١/ ٣١٦، تفسير الرازي، ٦/ ٤٨٨.
(٢) المفردات في غريب القرآن، ٦٨٥.
(٣) تفسير المراغي، ٢/ ٢٠١.
(٤) السابق، ٢/ ٢٠٠-٢٠١.

وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة] فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ»[١]؛ لأن الحديث أو الكلام في أثناء الصلاة مناف له، فيلزم من القنوت تركه[٢].

ويبدو أن المراد من القنوت هنا: السكوت؛ للحديث الوارد في سبب نزول هذه الآية الكريمة، والذي فهم منه الصحابة أن المعنى هنا: السكوت، وعملوا بمقتضاه؛ وكذلك تنافي الخوف مع الخشوع التام في الصلاة، وهذا بينه سياق الآية الكريمة بعدها (فإن خفتم ... إلخ الآية).

٣- الموضع الثالث: قوله –تعالى-:﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عِمْرَان]،معنى ﴿...وَٱلْقَٰنِتِينَ... ﴾ أي:الطائعين المداومين على العبادة[٣].

سياق السورة تصوير لحال المسلمين مع ربهم واستسلامهم له، وتلقيهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول، والطاعة، والاتباع الدقيق.

٤- الموضع الرابع: قوله –تعالى-: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عِمْرَان]، معنى ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي... ﴾: قومي في الصلاة، أو أطيلي القيام فيها[٤].

سياق الآية الكريمة والآيات قبلها سياق ترغيب، وحثٌّ على الطاعات، وفعل الخيرات، فالآية الكريمة توجيهٌ للسيدة مريم بالشكر لله ﷻ بالصلاة، وطول القيام، والسجود، والركوع، شكرًا للمولى –جل وعلا– على عظيم منته، وواسع عطائه [٥].

(١)صحيح البخاري، ٦/٣٠.
(٢) ظ. تفسير المراغي، ٢/٢٠١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٣٨، فتح القدير، ١/ ٣٢٤، تفسير المراغي، ٣/ ١١٣.
(٤) تفسير أبي السعود، ٢/٣٥،ظ. فتح القدير للشوكاني، ١/ ٣٨٨.
(٥) ظ. تفسير المراغي، ٣/ ١١٣.

٥. الموضع الخامس قوله -تعالى-: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النِّسَاء]، معنى ﴿ ...قَٰنِتَٰتٌ... ﴾: المطيعات لأزواجهن، أو لله تعالى في حفظ أزواجهن[١].

لما نهى سبحانه كلّا من الرجال والنساء عن تمنى ما فضل الله به بعضهم على بعض، وأرشدهم إلى الاعتماد في أمر الرزق على كسبهم، وأمرهم أن يؤتوا الوارثين في الآيات السابقة[٢]، جاء قوله –تعالى-: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ.....﴾ وظاهر قوله –تعالى-: ﴿ ...فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ... ﴾: إخبار، إلا أن المراد منه الأمر بالطاعة. واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها؛ لأن الله -تعالى- قال: ﴿ ...فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ... ﴾ والألف واللام في الجمع يفيد الاستغراق، فهذا يقتضي أن كل امرأة تكون صالحة، فهي لا بد أن تكون قانتة مطيعة[٣].

والتعبير باسم الفاعل فيه دلالة على ثبوت الصفة، واستمرارها، ولم يقل طائعات. لأن مدلول اللفظ الأول نفسي؛ يتناسب مع السكن، والمودة، والستر، والصيانة بين الزوجين كما أن لفظ طائعات يوحي بالإجبار على الطاعة، وهذا يوضح دقة التعبير القرآني، وتفرده في اختيار الألفاظ المعبرة عن المعنى.

٦. الموضع السادس قوله –تعالى-: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النَّحل]، معنى ﴿ ... قَانِتًا... ﴾: القانت المطيع لله ورسوله[٤].

(١) البحر المحيط، ٣/ ٦٢٤، نظم الدرر، ٢/ ٢٥٢، تفسير المراغي، ٥/ ٢٨.
(٢) ظ. تفسير المراغي، ٥/ ٢٦
(٣)ظ. تفسير الرازي، ١٠/ ٧١.
(٤) الكشاف، ٢/ ٥٩٩، فتح القدير، ٣/ ٢٤١.

بعد أن انتهى سبحانه من دفع شبهات المشركين، وإبطال مطاعنهم، وكـــان إبراهيم عليه السلام من الموحدين، وهو قدوة كثير من النبيين، ذكره الله في آخر هذه السورة، فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا... ﴾(١).

٧. الموضع السابع -قوله تعالى-: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرُّوم]، معنى ﴿ ... قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾: فكل له منقادون (٢).

السياق: سياق تنزيه، ووحدانية وتعظيم للمولى ﷻ وتعداد لنعمه وآياته؛ فجاءت هذه الآية الكريمة لبيان أن كل من في السموات والأرض من خلق الله مطيع له فيما أراد به، من حياة أو موت، ومن سعادة أو شقاء، من حركة أو سكون(٣)؛ لذا جاءت (قانتون) ، أي : مطيعون منقادون انقياد الخضوع؛ لأن امتثال التكليف قد انقضى بانقضاء الدنيا؛ أي: لا يسعهم إلا الخضوع فيما يأمر الله به(٤).

٨. الموضع الثامن قوله –تعالى-:﴿ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب].معنى ﴿ ... يَقْنُتْ ...﴾: ومن يدُم على الطاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ(٥).

أعقب –جل شأنه– الوعيد في الآيات السابقة بالوعد في الآية التي بين أيدينا كما هي عادة القرآن الكريم؛ لذا جاء سياق هذه الآية الكريمة وعدًا لمن داوم على الطاعة والعبادة، والعمل الصالح، فالقنوت هو الترجمة الفعلية للطاعة والخضوع؛ لذا جاء الرد بعدها: ﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾.

٩. الموضع التاسع قوله –تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ

(١) فتح القدير، ٣/ ٢٤١.
(٣) تفسير الرازي، ٢٥/ ٩٦.
(٣) تفسير المراغي، ٢١/ ٤١.
(٤) التحرير والتنوير، ٢١/ ٨٣.
(٥) تفسير أبي السعود، ٧/ ١٠٢، ظ. التحرير والتنوير، ٢٢/ ٥.

وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَا ﴿٣٥﴾ [الأَحْزَاب].

﴿ ...وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ... ﴾: (والقانتين والقانتات) أي : المداومين على الطاعات القائمين بها(١).

بعد أن أمر سبحانه نساء نبيه ﷺ بأشياء، ونهاهن عن أخرى، ذكر هنا ما أعد للمسلمين والمسلمات من الأجر والكرامة عنده في الدار الآخرة، وذلك بعد ما روي عن أن أم سلمة قالت للنبيﷺ: ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال، فأنزل الله ﷻ هذه الآية(٢).

١٠. الموضع العاشر قوله –تعالى-: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزُّمَر].

﴿ ... قَٰنِتٌ... ﴾: المقيم على الطاعة، القائم بما يجب عليه من أمر الله (٣).

سياق الآيات الكريمة السابقة وسياق هذه الآية مفاضلة بين المؤمن والكافر، كأن لسان الحال يقول: «أأنت أحسنُ حالًا ومآلًا أم من هو قائمٌ بمواجب الطَّاعاتِ، ودائم على أداءِ وظائف العبادات في ساعاتِ اللَّيل حالتَيْ السَّراءِ والضَّراءِ، لا عند مساس الضُّرِّ فقط كدأبك حالَ كونِه ﴿ ...سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا... ﴾؛ أي: جامعًا بين الوصفينِ المحمودينِ»(٤).

والذي يبدو من السابق أن (القنوت) هنا بمعنى: الدعاء، بدلالة السياق اللغوي للآية السابقة، وهو قوله- تعالى- ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا

(١)تفسير الألوسي، ١١/ ٢٠١، التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢١.
(٢) تفسير المراغي، ٢٢/ ٨.
(٣)التفسير الوسيط للواحدي، ٣/٥٧٣، وظ. تفسير المراغي، ٢٣/١٥٠، فتح القدير للشوكاني، ٤/ ٥١٩.
(٤) تفسير أبي السعود، ٧/ ٢٤٥.

خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ...﴾ [الزُّمَر: ٨]؛ حيث المقارنة بين حال الفريقين من دعاء مؤقت للفريق الأول، ودعاء دائم عن خشوع وإخبات، وطاعة للفريق الثاني، وليس حال الضُّر فقط، وهذا لا يتعارض مع التفسير الذي ذكره المفسرون بأن المقصود بالقانت هو: القائم بما يجب عليه من الطاعة؛ لأن الدعاء يدخل تحت أنواع الطاعة التي يفعلها المؤمن؛ فالمراد هو القيام بالطاعة والدعاء معًا.

١١. الموضع الحادي عشر قوله –تعالى–: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التَّحرِيم].

﴿ ... قَٰنِتَٰتٍ... ﴾: مطيعات لله ولرسولهﷺ(١).

السياق: روي في سبب نزول هذه الآية(٢):أنها نزلت موافقة لقول عمر لابنته حفصة –رضي الله عنهم– مثل هذا اللفظ، وهذا من القرآن الذي نزل وفاقًا لقول عمر أو رأيه تنويها بفضله.

«...وبلغني معاتبة النبيﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن فقلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسولهﷺ خيرًا منكن... فأنزل الله ﷻ ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ... ﴿٥﴾﴾ [التَّحرِيم : ٥]»(٣)، وهي موعظة بأن يأذن الله له بطلاقهن، وأن تصير له أزواج خير منهن.

١٢. الموضع الثاني عشر قوله –تعالى–: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التَّحرِيم].

(١) تفسير السمرقندي، ٤٦٩/٣، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٤/١٨، التفسير المنير للزحيلي، ٣١٠/٢٨.
(٢) التحرير والتنوير، ٢٨/ ٣٦٠. ٣٦١.
(٣) فيض الباري على صحيح البخاري، ١٩٦/٥.

﴿ ... ٱلۡقَٰنِتِينَ ... ﴾ أي: المواظبين على الطاعة[1]، المخبتين إلى الله، الممتثلين أوامره.

سياق الآيات الكريمة السابقة لهذه الآية مضرب أمثال لنساء كافرات في بيوت أنبياء، ونساء مؤمنات في وسط كفار، وسياق هذه الآية الكريمة يبين حال السيدة مريم –وهي من النساء العفيفات فقد نشأت في بيت صالح– وما أوتيت من كرامة الدنيا وكرامة الآخرة، فاصطفاها ربها مع أن أكثر قومها كانوا كفارًا...، فأثبتت عفتها وكمال طهارتها، فنفخنا فيها من روحنا: فحملت بنبي الله وكلمته عيسى –صلوات الله عليه–، وصدقت بشرائع الله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه، وكانت في عداد القانتين العابدين المخبتين لربهم، مع المطيعين له والمطيعات لله تعالى ورسوله ﷺ.[2]

مما سبق يتبين ما يأتي:

* مادة (قنت) تنوعت معانيها حسب سياقاتها: فجاءت بمعنى الطاعة، والانقياد، والخضوع، والقيام، والسكوت، والإخبات، والتواضع، والدعاء، والسكن، والمواظبة على الخيرات، وفعل الطاعات، والقنوت هو: الخضوع والطاعة مع الدوام والاستمرار في العبادة، ويرتبط في الغالب بالدعاء، أو قيام الليل.

* القنوت ممزوج بالطاعة والاستقامة.

* أغلب سياقات القنوت سياقات وحدانية، وإجلال، وتعظيم لله ﷻ .

* يظهر أثره على البدن والجوارح كخفض الصوت وخفض البصر كما في حال الخشوع والخضوع.

(١) تفسير أبي السعود، ٨/ ٢٧٠، تفسير فتح القدير، ٥/ ٢٥٦، تفسير الألوسي، ١٤/ ٣٥٩.
(٢) ظ. تفسير المراغي،٢٨/ ١٦٩.

ثانيًا: السكينة: مصدر سكن .

«(سَكَنَ) السِّينُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الِاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ. يُقَالُ سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ» (١).

تدور مادة (س ك ن) حول: الطمأنينة، والهدوء، والاستقرار (٢)، والثبات.

«ما يجد القلب من الطمأنينة عند تنزّل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن» (٣).

الصفات الصوتية لأصوات لفظة سكن.

اللفظة (سكن)	الصـــــــفة						الإجمالي		
س	مهموس	رخو	مصمت	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	صفيري	٧
ك	مهموس	شديد		مستفل	منفتح	مصمت	خفي	خفي	٦
ن	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	أغن	أغن	٧
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة: ٢٠ صفة.				صفات القوة: ٦			صفات الضعف: ١٤		

*بالنظر في صفات أصوات لفظة (سكن) يُلاحظ غلبة صفات الضعف، ولعل هذا يتناسب ويتلاءم مع معنى السكون، وسريان الهدوء إلى داخل أعماق النفس، مع الثبات وعدم الاضطراب.

وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم ست مرات، في ستة مواضع، وهي:

(١) مقاييس اللغة، (س ك ن) ٣/ ٨٨.
(٢) معجم اللغة العربية (س ك ن)، ٢/١٠٨٨.
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٩٦٤.

م	الآيــة	السورة
١.	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ﴾	[البَقَرَة : ٢٤٨]
٢.	﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾	[التَّوْبَة : ٢٦]
٣.	﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	[التَّوْبَة : ٤٠]
٤.	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾	[الفَتْح : ٤]
٥.	﴿ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾	[الفَتْح : ١٨]
٦.	﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾	[الفَتْح : ٢٦]

١. الموضع الأول قوله –تعالى–﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البَقَرَة].

معنى ﴿ سَكِينَةٌ ﴾: ما يوجب السكون والثبات في مواطن الخوف(١).

وسياق الآية الكريمة يبين أنهم كانوا وقت حرب وجهاد، ولم يطمئن القوم إلى ما أخبرهم به نبيّهم عن طالوت، ولم يقنعوا بما احتج به عليهم... وأبَوا الانضمام إليه، والقتال تحت رايته... فجاءهم نبيهم بآية محسوسة، يجدونها بين أيديهم، أمارة على اصطفاء الله له، وهو أن يعود إليهم التابوت الذي افتقدوه من زمن بعيد، وفى هذا التابوت سكينة، واطمئنان لهم(٢).

١. الموضع الثاني قوله –تعالى– ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التَّوْبَة].

معنى ﴿ سَكِينَتَهُۥ ﴾: ما يسكنهم ويذهب خوفهم(٣).

سياق الآية الكريمة يبين(٤):

أن الله أفرغ سكينة من لدنه على رسوله ﷺ بعد أن عرض له الأسف والحزن على أصحابه حين وقوع الهزيمة لهم؛ فما ازداد إلا ثباتًا وشجاعة وإقدامًا –وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه... فأذهب روعهم، وأزال حيرتهم، وأعاد إليهم ما كان قد زلزل من ثباتهم وشجاعتهم...، وأنزل مع هذه السكينة جنودًا من الملائكة لم تروها بأبصاركم، بل وجدتم

(١) نظم الدرر، ١/ ٤٧٤.
(٢) التفسير القرآني للقرآن، ١/ ٣٠٧، ظ. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٣/ ٢٣٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٨/١٠١.
(٤) تفسير المراغي، ١٠/ ٨٧.

أثرها في قلوبكم بما عاد إليها من رباطة الجأش، وشدة البأس- وعذب الذين كفروا بالقتل والسبي والأسر.

٣. الموضع الثالث قوله –تعالى-: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التَّوْبَة: ٢٦].

سياق الآية الكريمة:

سياق هجرة وخروج يستلزم التثبيت والنصر، والسكينة، هي الطمأنينة التي تحلّ بالقلب، فيجد الإنسان المكروب ريح الأمن، وبرد السلامة والعافية.. وهي مأخوذة من السكون، أو السكن، بمعنى القرار..

﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ .. هي قوى من قوى الحق، أمدّه الله بها، فكانت عينًا تحرسه، ويدًا تردّ من يريد السّوء به.. وفي التعبير عن حلول السكينة قلب النبي ﷺ بإنزالها عليه، إشارة إلى أنها منزلة من السماء، وأنها من قوى الحقّ التي أمدّ الله نبيّه بها، وليست من القوى التي يملكها الناس، ويستندون إليها[١]، السكينة أنزلت عقب الحلول في الغار، وأنها من النصر؛ إذ هي نصر نفسي...، وتلك السكينة هي مظهر من مظاهر نصر الله إياه... [٢]

٤. الموضع الرابع قوله –تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ [الفَتْح].

(١) التفسير القرآني للقرآن، ٥/ ٧٧٦.
(٢) ظ. التحرير والتنوير، ١٠/ ٢٠٣.

سياق الآية الكريمة أن المولى ﷻ هو الذي أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين بما يسره لهم من الفتح لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنَا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ ﴾؛ أي: ليزدادوا بسبب تلك السكينة إيمانًا منضمًا إلى إيمانهم الحاصل لهم من قبل(١)، وإنزال السكينة في قلوبهم تشديد لعزائمهم فتخصيصهم بالذكر قبل هذا العموم وبعده تنويها بشأنهم(٢).

٥. الموضع الخامس قوله -تعالى-: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفَتْح].

سياق الآية الكريمة يبين أن الله ﷻ (٣):

أخبر عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان...ولما أراد أصحاب رسول الله ﷺ أن يعلّموا هذه الشجرة بعد ذلك كثر اختلافهم فيها، فلما اشتبهت عليهم وصار كل واحد يشير إلى شجرة غير التي يشير إليها الآخر...﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾؛ أي: فعلم ما في قلوبهم من الصدق، والسمع، والطاعة، فأنزل عليهم الطمأنينة، وسكون النفس، ورباطة الجأش، وأعطاهم جزاء ما وهبوه من الطاعة؛ فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية.

٤. الموضع السادس قوله -تعالى-: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ

(١) تفسير فتح القدير، ٥/ ٤٥.
(٢)التحرير والتنوير، ٢٦/ ١٥١.
(٣) تفسير المراغي، ٢٦/ ١٠٢، ظ. التحرير والتنوير، ١٧٣/١٦.

كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمَا ﴿٢٦﴾ [الفَتْح].

سياق الآية الكريمة والجو العام للسورة جو نصر وتثبت؛ حيث امتلأت قلوب الكافرين حنقًا وغلًا وأنفًا، وامتنعوا عن الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة، وكذبوه متعصبين لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ﷻ ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾؛ أي: أنزل الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين؛ حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية ﴿ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾، وهي لا إله إلا الله، كذا قال الجمهور(١).

مما يظهر ما يأتي:

السكينة: تنوعت حسب سياقاتها، فوردت بمعنى السكون، والطمأنينة، والنصر، والتثبيت، وعدم الخوف.

* فالسكينة ترك الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر استعمالاتها في موضع الطمأنة عند خوف.

* تضاف السكينة إلى القلب، فالسكينة جند من جنود الله ـ جل شأنه ـ ؛ فكأنها تمتثل طاعة المولى عز وجل في التنزل على عباده في وقت الشداد.

* وقد ردت السكينة في القرآن الكريم في ستة مواضع، كلها مواطن تثبيت في أوقات الشدة، كأوقات الجهاد والهجرة، وهي هيئة نفسية تصور سكون القلب؛ فتظهر الراحة المنبثقة عن هذه السكينة على الجوارح.

* أسندت إلى القلب فجُعل محطًا لها في موضع واحد.

* فالفرق بينها وبين القنوت:

(١) ظ. تفسير فتح القدير، ٥/٥٤.

أن السكينة: طمأنينة في عدم خوف أو اضطراب، محلها القلب، ويظهر أثرها على الجوارح، والقنوت: طاعة مطلقة دون إجبار ناتجة عن طمأنينة، وسكن، ممزوجة بالاستقامة، تقوم بها الجوارح، وجاء القنوت مرتبطًا بسياقات الوحدانية لله ﷻ في أغلب مواضعه.

ثالثًا: خفض الجناح

تركيب من خَفْض والجناح:

خَفْض: مصدر خَفَضَ، «الخَفْضُ: ضِدُّ الرفْع.. وامرأَة خَافِضَةُ الصَّوْتِ.. :خَفِيَّتُه لَيِّنَتُه،...وَقَدْ خَفَضَتْ وخَفَضَ صوتُها: لانَ وسَهُلَ»(١).

الجناح من جنح وهو مفرد: جمعه أجْنُح وأجنحة، وجناح الطائر، معروف.

وهو: ما يطير به ونحوه، «(جنَح الشَّخصُ): انقاد: حَادَ عن الطريق السَّويّ»(٢).

« خفَض فلانٌ جناحَه للنَّاس: ألان جانبه، وتواضع لهم ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ ﴾ خفَض له جناحَه، خفَض له جناح الذُّل: ألان جانبه، وتواضع»(٣).

الصفات الصوتية لأصوات تركيب (خفض الجناح):

اللفظة (خفض الجناح)		الصفة				الإجمالي		
خ	مهموس	رخو	مستعل	منفتح	خفي	مصمت		٦
ف	مهموس	رخو	مستفل	منفتح	خفي	ذلق		٦
ض	مجهور	متوسط	خفي	مستعل	مطبق	مصمت	مستطيل	٧
ل	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	جانبي	٧

(١) لسان العرب، ٧/ ١٤٥، ظ. الكليات ٤٣٤.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ن ح)، ١/ ٤٠٢
(٣) السابق (خ ف ض)، ١/ ٦٦٩.

ج	مجهور	شديد	مستفل	منفتح	مصمت	خفي	مقلقل	٧
ن	مجهور	متوسط	مستفل	منفتح	ذلق	خفي	أغن	٧
ا	مجهور	رخو	مستفل	منفتح	مصمت	واضـــح		٦
ح	مهموس	رخو	مستفل	مصمت		خفي		٥
إجمالي عدد صفات أصوات اللفظة:٥١ صفة.			صفات القوة: ١٩			صفات الضعف: ٣٢		

بالنظر في صفات أصوات تركيب (خفض الجناح) يُلاحظ غلبة صفات الضعف، ولعل هذا يتناسب ويتلاءم مع معنى اللين والسهولة، وكذلك بُعد بعض مخارج اللفظة؛ ليعبر عن شيء داخلي يضاف إلى معنى التركيب، وهو الاحتواء الداخلي التام.

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاث سياقات، وهي:

م	الآيـــة	السورة
١-	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	[الحِجْر : ٨٨]
٢-	﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾	[الإِسْرَاء : ٢٤]
٣-	﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾	[الشُّعَرَاء : ٢١٥]

١. الموضع الأول قوله –تعالى- :﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحِجْر].

٣. الموضع الثالث قوله تعالى : ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشُّعَرَاء].

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ ﴾: خفض الجناح وهو التواضع، ولين الجانب(١).

هذا خطاب للنبيﷺ من الله ﷻ أنْ ألن جانبك، وارفق بمن آمن بك، ولا تجف بهم، ولا تغلظ عليهم، وهو أمر لا يختص فقط بالمؤمنين من عشيرته ﷺ، وإنما بمن اتبعه من المؤمنين جميعًا.

والغرض من هذا البيان التنويه بشأن الإيمان، كأنه قيل: واخفض جناحك لهم؛ لأجل إيمانهم، كقوله تعالى: «ولا طائر يطير بجناحيه» [الأنعام: ٣٨]، وجبر لخاطر المؤمنين من قرابته(٢).

وأصل ذلك أن الطائر إذا أراد أن يضم فرخه إليه بسط جناحه له، والجناحان من الإنسان: جانباه، وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه يريد الدنو (٣).

٣- الموضع الثاني قوله –تعالى-: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

كناية عن حسن التدبير، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك في حال صغرك(٤)، وهو: ...حثّ على تليين الجانب، والانقياد(٥).

﴿ جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾: اقطعهما جانب الذل منك، ودمث لهما نفسك وخلقك، وبولغ بذكر "الذل" هنا ولم يذكر في قوله –تعالى- ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾؛ وذلك بحسب عظم الحق هنا(٦) .

(١) تفسير النيسابوري – غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/ ٢٨٧.
(٢) التحرير والتنوير، ١٩/ ٢٠٣.
(٣) التحرير والتنوير، ١٤/ ٨٣، ظ. تفسير المراغي، ١٤/٤٤.
(٤) تفسير النيسابوري ، ٤/ ٣٤١.
(٥)المفردات في غريب القرآن، ٢٨٩.
(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٣/ ٤٦١.

=

* لعظم حق الوالدين قُرن خفض الجناح بالذل، أو أَسند إليه لفظة الذل خلافًا للآيتين السابقتين من مواضع خفض الجناح؛ فإن إعزازهما لا يكون إلا بذلك؛ فكأنه قال: كن لهما كالمقهور في حال استسلام تام ولين وسكون للأطراف، مع تصوير الخفض الذي هو ضد الرفع بالنزول تحت الأرض؛ من فرط الرحمة، والشفقة، والعطف، والرقة؛ لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما، ولا تكتف برحمتك الفانية، بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ برحمتك في الدنيا والأخرة.

فكأن الخفض عند هذا الموضع أشدُّ ألفاظ اللين لينًا.

ومن خلال ما سبق بيانه يتجلى لنا ما يأتي:

الخفض أتى مسندًا إلى الجناح في المواضع الثلاثة السابقة، وهو: كناية عن لين الجانب، وشدة التواضع.

* صَوَّر تركيب خفض الجناح حالَ السكون التام مع الوالدين؛ لعظم حقهما؛ لذا قرن الجناح بالذل في:﴿ جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

* أصوات تركيب (خفض الجناح): تبرز بشكل واضحٍ التناسب بينها وبين معناها؛ حيث تغلب صفات الضعف عليها؛ مما يصور مدى الضعف الذي يجب أن يكون عليه الشخص مع والديه؛ مما يوضح معنى اللين والسهولة، وكذلك بُعد بعض مخارج اللفظة؛ ليعبر عن شيء داخلي يضاف إلى معنى التركيب، وهو الاحتواء الداخلي التام.

تعليق على المبحث:

ألفاظ: (القنوت- السكينة- خفض الجناح):

=

١. (قنت) تنوعت معانيها حسب سياقاتها؛ حيث جاءت بمعنى الطاعة، والانقياد، والخضوع، والقيام، والسكوت، والإخبات، والتواضع، والدعاء، والمواظبة على الخيرات، وفعل الطاعات.

* القنوت ممزوج بالطاعة والاستقامة.

* وهناك مناسبة وملاءمة بين أصوات لفظة القنوت ومعناها، فالقاف بشدته واستعلائه يناسب القيام على الطاعة بما يجب، والنون بخفائه والتاء بهمسه يحاكيان الاطمئنان الداخلي ويحاكيان سريان هذا الاطمئنان إلى جميع الأجزاء.

٢. السكينة: تنوعت حسب سياقاتها؛ فوردت بمعنى السكون، والطمأنينة، والنصر، والتثبيت، وعدم الخوف.

* فالسكينة ترك الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر استعمالاتها في موضع الطمأنة عند الخوف.

* وقد ردت السكينة في القرآن الكريم في ستة مواضع، كلها مواطن تثبيت في أوقات الشدة، كأوقات الجهاد والهجرة، وهي هيئة نفسية تصور سكون القلب؛ فتظهر الراحة المنبثقة عن هذه السكينة على الجوارح.

* أسندت إلى القلب فجُعل محطًا لها في موضع واحد.

* تبرز المناسبة بين أصوات (السكينة) وما تدل عليه من معنى السكون والطمأنينة؛ من حيث تصويرها بما في أصواتها من الضعف والقوة؛ مما يُشعر بالطمأنينة وعدم الخوف.

* وقد وردت السكينة في القرآن الكريم في ستة مواضع، كلها مواطن تثبيت في أوقات الشدة، كأوقات الجهاد والهجرة، وهي هيئة نفسية تصور سكون القلب؛ فتظهر الراحة المنبثقة عن هذه السكينة على الجوارح.

(خفض الجناح): أتى الخفض مسندًا إلى الجناح في المواضع الثلاثة السابقة، وهو: كناية عن إلانة الجانب، وشدة التواضع.

* صَوَّر تركيب خفض الجناح حال السكون التام مع الوالدين، لعظم حقهما؛ لذا قرن الجناح بالذل في:﴿ جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

* أصوات تركيب (خفض الجناح): تبرز وبشكل جلى التناسب بينها وبين معناها؛ حيث تغلب صفات الضعف عليها؛ مما يصور مدى الضعف الذي يجب أن يكون عليه الشخص مع والديه؛ مما يوضح معنى اللين والسهولة، وكذلك بُعد بعض مخارج اللفظة؛ ليعبر عن شيء داخلي يضاف إلى معنى التركيب، وهو الاحتواء الداخلي التام.

الفروق بين ألفاظ:(القنوت- السكينة- خفض الجناح) من ناحية العموم والخصوص:

* مما سبق يتضح أن الفروق بين السكينة والقنوت وخفض الجناح تتمثل في الآتي:

أ. القنوت: طاعة مطلقة دون إجبار ناتجة عن طمأنينة، وسكن، ممزوجة بالاستقامة، تقوم بها الجوارح، وجاء القنوت مرتبطًا بسياقات الوحدانية لله ﷻ في أغلب مواضعه.

ب ـ السكينة: طمأنينة في عدم خوف أو اضطراب، محلها القلب، ويظهر أثرها على الجوارح.

فبينهما عموم وخصوص من وجه، فالعموم بينهما في الطمأنينة والخشوع، ولكن السكينة تختص بالملمح الداخلي أو الخفاء؛ فهي ليست مرتبطة دائمًا بالطاعة أو الخشوع؛ بل هي منحة من الله تُمنح للمؤمن في أوقات الشدة لتهدئة نفسه، بينما القنوت سلوك خارجي ينتج عن التوجه للمولىﷻ بالعبادة.

جـ ـ خفض الجناح: كناية عن إلانة الجانب، وهو أمر لا يختص فقط بالمؤمنين من عشيرتهﷺ، وإنما بمن اتبعه من المؤمنين جميعًا، وكذلك يندرج تحته التواضع، وحسن التعامل مع الناس برفق ولين.

يتعلق بحسن السلوك في التعامل مع الناس، ولا يقتص فقط على الحالة القلبية أو العبادات، بل يشمل: العلاقات الاجتماعية والرفق والتواضع .

* صَوَّر تركيب (خفض الجناح) حال السكون التام مع الوالدين، لعظم حقهما؛ لذا قرن الجناح بالذل في: ﴿ جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾.

* بين الألفاظ الثلاثة عموم وخصوص من وجوه:

السكينة أعمّ؛ تشمل القنوت، وخفض الجناح.
القنوت أخص؛ يتصل بالخشوع والطاعة.
خفض الجناح أضيق من (السكينة والقنوت)؛ فهو: يختص بالعلاقات الاجتماعية والتواضع.

* الخشوع والقنوت:

الخشوع والقنوت يتفقان في كونهما من مظاهر طاعة الله ﷻ والخضوع له، ولكن بينهما عموم وخصوص:

فالخشوع: أعم من القنوت لاحتفاظه بميزة الخفاء الداخلي؛ فهو حالة قلبية وسلوكية تظهر على الجوارح؛ فيظهر السكون في الصلاة والدعاء، ويستشعر القلب عظمة الله ﷻ.

بينما القنوت هو: الخضوع والطاعة مع الدوام والاستمرار في العبادة، ويرتبط في الغالب بالدعاء، أو قيام الليل؛ ولذلك يُعد جزءًا من مظاهر الخشوع؛ ولأن القنوت ممزوج بالطاعة والاستقامة؛ فهو: خشوع طواعية.

❁❁❁

الخاتمـــــة

بعد هذه الرحلة الماتعة في ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته، يمكن هنا إبراز أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتي من أهمها ما يأتي:

١. وضح البحث دقة التعبير القرآني، وتفرده في اختيار الألفاظ المعبرة عن المعنى من حيث: صفات أصواتها المناسبة لها، وملاءمة اللفظة في موضعها وسياقها.

٢. الألفاظ الدالة على اللين: (الخشوع- اللين- التضرع- الذل- الإخبات- الخضوع) يجمعها معنى عام واحد؛ وهو: التطامن، والتواضع، إلا أن كل لفظة تتميز بملمح خاص يميزها عن الأخرى؛ فبينهما تقارب دلالي، ويجمعها الطاعة والامتثال للمولى ﷻ.

٣. الألفاظ الدالة على اللين: (القنوت- السكينة- خفض الجناح) يجمعها معنى عام واحد؛ وهو: السكينة، إلا أن كل لفظة تتميز بما يميزها عن الأخرى؛ فبينهما تقارب دلالي، ويجمعها طاعة وسكون وامتثال للمولى ﷻ.

٤. كان للسياق دور بارز ومحوري في تحديد المعاني، وتوجيه دلالات الألفاظ المعبرة عن اللين؛ حيث أسهم في الكشف عن المعاني الدقيقة للألفاظ، وفتح أفاقًا جديدة للنصوص وفقًا للمواقف المختلفة؛ مما أسهم في إثراء البحث.

٥. للمجاز دور مهمٌّ في تحديد دلالات بعض الألفاظ، وتحديد الفروق الدقيقة بينها.

٦. بَيَّن البحث وجود علاقات تربط بين الألفاظ الدالة على اللين، من حيث العموم والخصوص:

أ ـ أعم هذه الألفاظ هو:(الذل)؛ لأنه يُعدّ من مظاهر الألفاظ الدالة على اللين جميعًا، فـ(الذل) يشمل جميع مظاهر التواضع والانكسار، سواء كانت لله أو لغيره، وسواء كانت طواعية أو قهرًا.

ب ـ الخشوع: أخص من الذل؛ لأنه حالة من التذلل المقرونة بحضور القلب لله في أثناء العبادة.

جـ ـ اللين: جانب من التواضع والرفق، لكنه ليس بالضرورة مقرونًا بالعبادة أو الانكسار؛ لذا قد يكون أعمّ من بعض الألفاظ الأخرى.

د ـ التضرع: أخصّ من الذل؛ لأنه تذللٌ في الدعاء مع إظهار الحاجة لله.

هـ . الإخبات: أخصّ من الذل؛ لأنه يشير إلى الطمأنينة القلبية مع الخضوع المستمر لله تعالى طواعية.

و . الخضوع: نوع من الذل، يتميز بالطاعة والانقياد، وغالبًا ما يكون إراديًّا، والترتيب حسب العموم:

* الذل (الأعم).
* الخضوع (نوع من الذل).
* اللين (قد يكون جزءًا من الخضوع أو الذل).
* التضرع (ذل مع دعاء).
* الإخبات (ذل مع طمأنينة وخضوع دائم).
* الخشوع (أخصّها، ذل مقترن بحالة عبادة معينة).
* السكينة أعمّ من القنوت؛ فهي تشمل القنوت وخفض الجناح.
* القنوت أخص؛ لأنه يتصل بالخشوع والطاعة.
* خفض الجناح أضيق؛ فهو يختص بالعلاقات الاجتماعية، ويرتبط بالتواضع.

المميزات:

. الخشوع يتسم بحضور القلب والجوارح في أثناء العبادة، يميزه الظهور على البدن عامة، ويسند إلى القلب والصوت، وهو من صفات المؤمنين المفلحين.

. الإخبات يشمل الخضوع الدائم، والطاعة لله في كل الأوقات، يميزه الخفاء الداخلي.

. الخضوع يشير إلى الانقياد والطاعة لله أو للمخلوق، تتبعه هيئة للبدن، وأسند إلى الأعناق.

. الذل يشمل التواضع والانكسار أمام قوة أعلى، وقد يكون قهريًّا أو طوعيا.

. اللين هو الرفق في التعامل مع الآخرين، دون ارتباط بالعبادة.

. التضرع يشير إلى التذلل والدعاء لله، خاصة في الشدة.

. القنوت هو الخضوع المستمر لله في الدعاء، ممزوج بالطاعة والاستقامة.

. السكينة هي الطمأنينة والهدوء الداخلي، الناتج عن الإيمان.

. خفض الجناح تعبير عن التواضع الظاهر في المعاملة مع الناس، وبيان مدى الرفق واللين مع الوالدين.

* سيطرت صفات الضعف التي تعضد جانب (اللين) داخل هذه الألفاظ على صفاتها الصوتية في معظمها.

والجدول الآتي يوضح ذلك:

م	اللفظة	إجمالي عدد الصفات	صفات القوة	صفات الضعف	النسبة
١.	خشع	١٩	٧	١٢	٦٣٪
٢.	لان	٢٠	٧	١٢	٦٠٪
٣.	ضرع	٢٠	١٠	١٠	٥٠٪
٤.	ذل	٢٠	٦	١٤	٧٠٪
٥.	خبت	١٩	٧	١٢	٦٣٪
٦.	خضع	١٩	١٠	٩	٤٧٪
٧.	قنت	٢٠	٨	١٢	٦٠٪
٨.	سكن	٢٠	٦	١٤	٧٠٪
٩.	خفض الجناح	٥١	١٩	٣٢	٦٢٪

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت: ٥٣٨هـ) تح: محمد باسل عيون السود، ط١: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط٥: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٤. التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر- تونس،١٩٨٤هـ.

٥. التضمين النحوي في القرآن الكريم: محمد نديم فاضل، ط١: دار الزمان، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٦. تفسير السمرقندي- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ)، تح/ د/ محمود مطرجي، ط: دار دار الفكر- بيروت، د.ت.

٧. تفسير الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.

٨. تفسير القرآن- تفسير السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي التميمي الحنفي، (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، ط:١: دار الوطن، الرياض- السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٩. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، (ت: بعد١٣٩٠هـ)، ط: دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط.ت).

١٠. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي، (ت: ١٣٧١هـ)، ط١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م.

١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، (ت: ١٤٣٦هـ)، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.

١٢. الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م.

١٣. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي، (ت: ١٣٧٦هـ)، ط٤، دار الرشيد، دمشق- مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤١٨هـ.

١٤. حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر، دار صادر- بيروت.

١٥. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، (ت: ٣٩٢هـ)، تح. محمد علي النجار، عالم الكتب- بيروت، د.ت.

١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح/ علي عبد الباري عطية، (ت:١٢٧٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ)، ط١، محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٨. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر٦/٣٠، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

١٩. عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: د. عبد العزيز أحمد علام، ط١: ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.
٢٠. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت: ٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، ط١: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٦هـ.

٢١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة: دار الفكر- بيروت.
٢٢. الفروق اللغوية في العربية، د/كاظم علي المشيري، طبعة دار الصادق، ط١، ١٤٣٢هـ.
٢٣. الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تح: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
٢٤. فيض الباري على صحيح البخاري: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، (١٣٥٣هـ)، تح: محمد بدر عالم الميرتهي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، (ت: ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث، بيروت، (د. ط. ت).
٢٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ت: ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش- محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة- بيروت.
٢٧. لطائف الإشارات- تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت: ٤٦٥هـ)، تح/ إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، (د.ت).
٢٨. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، ط٣، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
٢٩. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ت: ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٨هـ.

٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
٣١. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، [ت: ٤٥٨هـ]، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
٣٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، ط: المكتبة العلمية- بيروت، د.ت.
٣٣. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، د/ محمد حسن حسن جبل، (١٤٣٦هـ) ط١، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠١٠م.

٣٤. معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د/ محمد محمد داود، ط: دار غريب- القاهرة ٢٠٠٨م.
٣٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
٣٦. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، الناشر دار الدعوة.
٣٧. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت- ١٤١٢هـ.
٣٨. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (د.ط).
٣٩. الموسوعة القرآنية خصائص السور: جعفر شرف الدين، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية- بيروت ١٤٢٠هـ.
٤٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، (ت: ٨٨٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (ت:٤٦٨هـ)، تح: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض وآخرين ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٤٢. وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب، ٣٨٦، ط١، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر- حلب١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ١٤٣٨
التمهيد: (معنى الفروق الدلالية)..... ١٤٤٤
المبحث الأول: الألفاظ الدالة على التطامن والتواضع..... ١٤٤٦
١ـ الخشوع..... ١٤٤٦
٢ـ اللين. ١٤٦٤
٣. التضرع. ١٤٦٩
٤ـ الذل. ١٤٧٥
٥. الإخبات. ١٤٧٧
٦. الخضوع..... ١٤٨٣
المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على السكينة، وهي:..... ١٤٩٣
١. القنوت..... ١٤٩٣
٢. السكينة..... ..... ١٥٠٣
٣. خفض الجناح. ١٥٠٩
الخاتمة: ١٥١٦
المراجع..... ١٥١٩
فهرس الموضوعات ١٥٢٢